محمد المنصور الشقحاء

عشبه عطرية

مختارات قصصية

خطوط وظلال
للنشـــر والتـوزيـع

الأردن، عمّان، جبل الحسين، بناية (٢٠)
تلفون: **+962 6 4651846 - +962 79 5746218**
email: dar5otot@gmail.com
ص.ب: **11190**، عمّـان **925220** الأردن

عشبه عطرية - محمد المنصور الشقحاء
مختارات قصصية - الطبعة الأولى، ٢٠٢١
جميع الحقوق محفوظة ©
تصميم الغلاف والتنسيق الداخلي:

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without the prior permission of the Publisher
جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، بأي شكل من الأشكال، إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

محمد المنصور الشقحاء

عشبه عطرية

مختارات قصصية

تذهـب دار خطـوط للنـشر والتوزيـع إلى أمـداء طَموحـةٍ عـبر الانتصـار للنصـوص الإبداعيـة المتجـاوزة، وإيـلاء الفعـل الجـماليّ اهتمامًـا كبـيراً بكونـه فَخًّـا بصريًّـا، ولَـذَّة كامِنـةً لِصِفـات الكتـابِ الـذي سـيوقع القـارئَ في لَـذَّة الصـورةِ و تمثُّلاتهـا المعرفيـة المتحركـة.

نقـارب بـين ثقافـاتٍ مختلفـةٍ مـن خـلال الترجمـة، مؤمنـين بـأن الاختـلاف عافيـة للقـارئ والمبـدع معـا.

خطوط حبر يفيض في كل الحقول .....

سبات عميق

لم فكر أن الحلم الذي تكرر أخيرا يتجسد حقيقة في يوم من نجم سعد الذابح وقد لف الرياض الغبار ووسم اللون الترابي كل شيء، أنه الفراق المطلق في لحظة غرق في سبات عميق إذ لم يعد هناك أحد.

كنت أنتظر مقدمها في إحدى زوايا مطعم عائلي اعتدنا ارتياده للحديث بعيدا عن الأخريات في هم تلبسنا؛ ننشد الحب الذي معه فجرا ننهض بقلب يطير بعيدا عن عقاب الندم وضعف عندما تلاحقنا الخيبة.

تأخرت فتشاغلت بالعبث بجوالي ومجلة علمية وجدتها على الطاولة التي سبقني إليها النادل فطلبت فنجان قهوة واستأذنته ترك المجلة حتى حضور مرافقتي.

وجاء صوتها عبر الحاجز الذي يفصل الطاولات تتحدث كثيرا ومرافقتها تهمهم وتضحك بصوت مرتفع، ولامسني انزعاجها من شيء يمزقها كان مع توافق جسديهما هناك جزء يغمرها بالخوف والوجع ويدفعها إلى الابتعاد عنه.

رن جرس الهاتف وتوقف الحديث، طال الرنين وتوقف ثم عاد ليتوقف فقد رد أحدهم، شعرت أن هناك حركة قادمة رصدت الممر، إحداهما تتحدث بصوت خافت هي ترمقني بنظرة فارغة من علامات الاستفهام.

تركت مكاني ولحقت بها سبقتني إلى المغاسل والحمامات، وقفت بجوارها أتأملها رفت على شفتيها ابتسامة ألقت التحية، بعد فراغها من الحديث تطلعت في المرآة تعيد تشكيل وجهها.

عدت لطاولتي، هنا لمحت الأخرى، كل شيء فيها يدفعني إلى الاقتراب منها ومشاركتي طاولتي فقد مللت انتظار صديقتي.

قالت: وأنا تركتني صديقتي.

قلت: نعم استمعت لطرف من حديثكما.

قالت: حديث أنثى.

قلت: ليس هناك ما هو أكيد سوى ما نلمسه.

قالت: لم يعد في وسعي التركيز.

اكتشفت أنها أنا بكل عقدي وهمومي، توقفنا عند العمل وأيام الدراسة والزواج وأتت صديقتها مرتبكة خائفة، فقد تعرضت لحادث سير تخلصت منه بأعجوبة، وصديقها يحل إشكاله مع رجال الشرطة، تركت الجميع وأخذت سيارة أجرة.

لم تعتذر صديقتي ولم يبق من الوقت كثير، ونحن نستعد ثلاثتنا للخروج، اتفقنا أنا أقوم بدفع فاتورة المطعم على أن توصلاني للمنزل وتبادلنا أرقام الهواتف والأسماء.

وأنا أتمدد في الفراش بعد تفقدي ابنتي ذات السنوات الثلاث منتظرة اتصال زوجي المسافر في مهمة عمل خارج الرياض لمدة يومين رن الهاتف كانت رفيقة المطعم.

حدثتني عن صديقتها المنحوسة وباحت بألمها الذي تراه نادراً عرفت أنها تدفعني للاقتراب أكثر وأني أذكرها بزميلتها في الجامعة وأيام الدراسة وأشياء أصبحت كل حياتها.

قلت: وأين الألم ؟

قالت: فيه

قلت: من ؟

قالت: زوجي.

عرفت أنه يسحقها بقوة وأنه يمزقها في الفراش ويلغي وجودها الإنساني والجسدي في البيت ولا يحترم خصوصياتها بفعله غير الطبيعي، كنت أضحك من استرسالها، عرفت إنها لم تكمل عامها الأول كزوجة في شهرها الرابع، تزوجت قبل التحاقها بالعمل في منتصف الفصل الثاني من العام الرابع والأخير في الجامعة، لم تفكر أن عليها أن تحسم أمرها بشكل نهائي، إذ لم يكن لديها سوى سلسلة من الهموم الأسرية الصغيرة.

مع الوقت شعرت برغبة في لقاء الزوج، لم تعترض ولم تنفر من فكرتي فقد وجدت في شيئا مما فقدته في صديقتها، هم مشترك وفراش لم يعد شريكه يشكل همنا شعرت بالدم يحتقن في وجنتيها، انتشرت على وجهها عذوبة ملائكية، رتبنا بصمت اللحظة، كنت عندها مارسنا عبثنا قبل مقدم صديقتها، اختلط عرقنا كان الوقت نسيم من الفرح المترع بالراحة والسكينة . فغاصت أناملنا في أجزاء تعودنا مداعبتها عندما نكون في خلوة وقد جمح الخيال.

أوصلني للمنزل تقطع الحديث بيننا في السيارة أنا في المقعد الخلفي وهو يسترشد العنوان شعرت بنزقه.

قلت: توقف حتى انتقل لجوارك.

لم يرد، أعرف الطريق طويل والمنزل خال، زوجي سافر وابنتي عند أمي، أغالب الخوف ونحن نقترب من المنزل أشعر بالعبء لا أحس بانزعاج فقد أخذت على نفسي اقتحام التجربة بأمانة وعلي البحث عن التركيز المطلوب بصرف النظر عن كل شيء.

قال: نعم.

قلت: حتى تسمع صوتي ونصل.

توقف عند محطة بنزين فترجلت ودخلت البقالة وشريت قنينتي عصير وعدت جلست في المقعد الأمامي، هو اللجة والأبهة وأنا الوردة الكاملة الشذى، ووصلنا تريث حتى افتح الباب تمهلت أبحث عن المفاتيح ترجل ووقف بجواري.

قال: الا يوجد أحد ؟

قلت: نعم.

قال: قد تكون هي الساعة.

قلت:تماما كالحياة زائفة.

قال: الوقت.

قلت: لحظة ممتازة هي انتصار كامل للذة روحية.

وأنـا أدخـل المفتـاح في فتحتـه أمسـكت كفـه بكفـي تسـاعدني عـلى إدارتـه، ولمـا انفتـح البـاب سـبقني داخـلا ،أضـاء النـور وهـم بالخـروج دعوتـه للتريـث حتـى نحيـل انتهـاك اللحظـة إلى حلـم ووميـض هائـم في متاهـة تلهفـي للمعرفـة، وكنـت أخـزن في ثلاجـة غرفـة النـوم الصغـيرة علـب مـشروب بـيرة بنسـبة مرتفعـة مـن الكحـول يحضرهـا زوجـي مـن مهنـدسي الـشركات الأجنبيـة التـي تنفـذ بعـض المشـاريع لإدارتـه.

قلـب العلبـة قبـل أن يفتحهـا ليعـرف محتواهـا ورمقنـي مبتسـما (هـو مسـتوى الحـدس الـذي قـد تبهـره البداهـة، وإشراق النـور الربـاني)، وقـد تخلصـت مـن العبـاءة وأبقيـت الخـمار ملفوفـا عـلى راسي يغطـي شـعري، سروالي الجينـز يحـدد معـالم جسـدي والفانلـة القصـيرة ذات العلاقـات الشـفافة تعـري صـدري وتكشـف بطنـي وجـزء مـن ظهـري، تجـرع العلبـة وتجـرع ماتبقـى في علبتـي واقـترب أكـثر، كنـت أتراجـع في انبثـاق تـوازن بـين التضحيـة وأنانيـة الاكتشـاف، وكان كلي يسـتدعي نفسـا مجـردة فـلا انطبـاع في الخيال وقـد اختلـط اللـون والشـكل وغـاب المـكان.

أنفاسـه تلفـح عنقـي أترقـب اكتـمال اللحظـة واندغـم في أعماقـي تحطـم زجـاج روحـي وانتـثرت أطـرافي وبعـض التعـب يـراود في الأفـق حلـم البدايـة، تهاويـت شـهاباً تخلـت عنـه السـماء وكان كبرقـة بنقـش غيبـي مترعـة بلـذة تتعـدى الحـس، آتيـة مـن مـكان بعيـد مجسـدتا وعيـاً لم أفكـر بـه، عشـته في أمكنـة وأزمنـة مختلفـة وكشـلال انسـكب في داخـلي.

عندما رن هاتفه تخلى عني بعدما طرح كل سبب وتجاوزت كل علة؛ وسمعته وهو يغادر الغرفة يقول انه في الطريق، نمت كما لم أنم منذ شعرت بوجودي.

هاتفي مليء بالاتصالات والرسائل، زوجي يعتذر عن العودة فقد يحتاج العمل ليوم آخر وصديقتي تعتذر عن اتصالها لسفرها المفاجئ برفقة والدها لحضور مناسبة عائلية في جدة حيث سبقتهم والدتها، ومديرتي في العمل تكلفني بمراقبة الدوام لأنها سوف تغيب لظرف عائلي، وصديقتي الجديدة تقول في رسالتها هل مزقك.؟ وعدد من علامات الاستفهام.

في المكتب تخيلت أن المكان أكثر بهجة وضياء، عجزت عن تفسيره، وفي المساء وصديقتي الجديدة تدعك كفي بحثا عن الإمداد والإلهام وقد ارتفعت ببصيرتها فوق المكان والزمان بمشاهدة الحياة الأبدية بتجلي نعيم السر الإلهي. وتستنشق رائحتي تحثني على الحديث عن تجربتي مع زوجها، كانت أكثر نشوة وألق وأنا أحتضنها مدللة على أن التجربة نادرة.

تأخر زوجي لليوم الثالث هاتفه مغلق، في الخامسة عصرا أخي وأمي عند الباب توجست الشر زوجي تعرض لحادث سير وهو بمستشفى حكومي في العناية الفائقة معالمه تغيبها أربطة وأجهزة تنفس صناعي.

انتقلت إلى المنزل القديم عدت لغرفتي المغلقة فتحت كتبي وكراسات الدراسة وعبث أيام التخرج من الجامعة، ابنتي في رعاية والدتي، السائق وعاملة المنزل تبدلت مسئوليتهما فالسائق مع زوجي بالمستشفى وتغيبي عن العمل المؤقت،

جـاء مـع انقطـاع صـوت رفيقتـي المطعـم.

صديقــة الطفولــة ومرحلــة اكتشــاف الجســد وغوايــة اندغامــي في العمـل لم تعـد تتحـدث عـن حبيبهـا الـذي توقفـت اتصالاتـه مـع نهايـة الشـهر الثالـث عـلى انتقـال وظيفتـه مـن الخارجيـة الى دبلومـاسي في أقـصى الـشرق، كـما أنهـا وهـي تـزورني تشـعرني بـأني ابتعـدت عنهـا ولمحـت أني لم أدعهـا إلى غرفتـي التـي تحتضـن صبوتنـا.

أشـياء كثـيرة تبدلـت لم أعـد أدركهـا ولم أهتـم بعنايـة شـقيقي بملبسـه وحرصـه عـلى خدمتـي وهـو يقـترب أكـثر مـن صديقتـي وجارتنـا القديمـة التـي يعرفهـا طفـلا وفتـى تمازحـه وتلاحقـه في ممـرات الـدار وهـو يختلـس النظـر لمعرفـة مـا يـدور بيننـا حتـى تخرجنـا مـن الجامعـة وانتقـال أسرتهـا إلى شـمال الريـاض وتأخـر زواجهـا وقدرتهـا عـلى إقنـاع أسرتهـا بفكرهـا.

وهـي تعلـن سرا أنهـا تزوجتنـي وتخوننـي مـع بعـض الصديقـات، إذا غبـت وتزجـي الوقـت ومـن تلتقـي بهـم في المناسـبات العامـة .

ذات مسـاء وقـد أدركـت أن زوجـي يمـوت، عرفـت أن أخـي تجـول في حصـون صديقتـي عندمـا حـضرت لزيـارتي أثنـاء قيامـي ووالـدتي بمعـاودة زوجـي، وتأخرنـا في العـودة لـشراء بعـض الحاجيـات، جـاءت صديقتـي وقـد رتـب أخـي اللحظـة، اعتـذر عـن مشـاركتنا الزيـارة، كان ينتظرهـا عنـد المدخـل أخذهـا إلى منـزلي المغلـق وهنـاك شرعـت أبوابهـا قدمـت لـه كل شيء حدثتـه عـن مغامراتنـا واكتشـافنا حياتنـا وكيـف نقـضي سـاعات اللقـاء.

غـاب أخـي في رحلـة مـع الأصدقـاء هربـا مـن مواجهتـي، وقـد أخبرتنـي صديقتـي بمـا تـم في تجـل تفـسر ترديدهـا (فالخلـق وجودهـم خـرج مـن عـدم بفضـل حـب متبـادل وبالحـب يوجـدون الآن) وإنهـا نامـت هـذه الليلـة في فـراشي مرتديـة إحـدى بجامـاتي الحريريـة حسـب اختيـار أخـي الـذي تفجـر في أعماقهـا مسـتعيدا ذكـرى أول قبلـة طبعتهـا عـلى خـده ذات مسـاء؛ بعـذر إنهـا كانـت عنـدي تواسـيني في مصـابي، لم أحتـج فقـد اعتـدت نزواتهـا وتجاربها.

تـوفى زوجـي وجـاءت صديقـة المطعـم وزوجهـا لمواسـاتنا، اكتشـف أقـاربي أن زوج صديقتـي ابـن أرملـة مـن أسرتنـا انقطعـت أخبارهـا بعـد أن هاجـر زوجهـا للشـمال كرجـل أعـمال وهنـاك تـوفى فتزوجـت مـن مسـاعده وعاملـه الأثـير وتـربي ابنهـا مـع أولادهـا وبناتهـا مـن زوجهـا الجديـد.

صديقـة المطعـم قـررت تطليـق زوجهـا، إنمـا تنتظـر اكتـمال أوراق ابتعاثهـا للدراسـة في لنـدن وهنـاك تنهـي حياتهـا الزوجيـة، عرفـت أنهـا تعـاني مـن عيـوب خلقيـة ناقشـتها فلـم تقتنـع دفعتهـا إلى تجريـب معـاشرة السـائق الـذي ضاجعنـي ذات مسـاء بعـد مداعبتـي لزوجتـه التـي لم تقـاوم فتدفقـت فـوق جسـدها العـاري ليدخـل راقبنـا حتـى انتهينـا لم أشـعر بـه وهـو يخـرق مسـاماتي برائحتـه وعرقـه الـذي لطـخ جسـدي كان في حراكـه الخائـف جـذوة خامـدة لم تشـعل فتيـل حـواسي.

في البـدء رفضـت بكيـف يتسـنى للـروح أن تخلـص نفسـها مـن عـبء مـا، ثـم أمـام إصراري وبكلـمات مقتضبـة.

قالت: أني لا أكاد تفهم إمكانية السعادة.

قلت: ثمة من يمكن ان يتاح له أن يسعد ؟

قالت: والنوايا ؟

قلت: الحالم والمحلوم التراب والنار.

قالت: التراب ؟

قلت: كما نظرية الوظيفة البنائية.

أرسلتها مع السائق وزوجته الخادمة لتنظيف منزلي وجلب شيء من ملابسي، وبعد انتهاء الاثنتين من إعادة ترتيب بعض أثاث المنزل دخلت صديقتي الحمام والماء ينسكب على جسدها، طلبت من الخادمة تدليكها، انتقلت الاثنتان إلى الكنبة القابعة في الممر لمواصلة التدليك ودعك جسدها الملتف بروب الحمام بمرطب يزيل الرائحة، وهنا دخل السائق محملا بالعشاء تركه على طاولة الطعام في المطبخ واتجه مع صوت الاثنتين اتكاء إلى الجدار وطرفا شفتيه يرتجفان بعصبية، خبأت وجهها بيديها وقلبها يدق بقوة. تتراخى ثملة تستحضر الوجه الذي أحبته. في فمها طعم ملح. النور يعم المكان؛ تدفق في أعماقها أشعرتها بالنشوة رائحة عرقه وجسده غرقت في اللذة التي تبحث عنها، انه الخدر اللطيف الذي فقدته.

بعد أعوام خمسة على رحيل زوجي ابنتي في الثامنة وأمي العجوز النحيلة انهكها المرض، وأخي في رحلة تعليمية لمدة أربعة أعوام تبقى عليها عام، تطور عملي فأصبحت مديرة شئون العاملين في إدارتي المرتبطة بوزارة الشئون الاجتماعية، ركضي مع صديقاتي لم يتجاوز اللحظة التي غفل عنها الزمن،

مـما ورثـت مـن تركـة زوجـي المنـزل الـذي شـكلني كزوجـة، واختـارني كأم لطفلـة يضحـك لهـا القمـر، تتنقـل بـود مـن أحضـاني إلى حـدب أسرة والدهـا، لم يغامـر أحـد منهـم في التدخـل لأخذهـا أو إرغامـي عـلى الـزواج مـن أحـد إخوتـه.

وفي العـام الخامـس جـاء زوج صديقتـي المبتعثـة للدراسـة في لنـدن يخـبر أقـاربي أنـه طلقهـا وأن أمـه تبحـث لـه عن زوجـة مـن قرابتها، يـدرك أن هنـاك لغطـاً يتعلـق بوالـده الـذي تزوجتـه أمـه ذات الأسرة المعروفـة ورحيلهـا بعيـدا لتعيـش خيارهـا بحـس المسـئول، فكونـت شراكتهـا الأسريـة شركـة تجاريـة نمـت كمؤثـرة في المقـاولات المعماريـة والتجـارة، كان والـده أجـيرا عنـد أسرة والدتـه مجهـول النسـب، حصـل بموجـب إجـراء خـاص عـلى الهويـة الوطنيـة وكللـه بزواجـه مـن الابنـة الوحيـدة لرجـل الأعـمال ذائـع الصيـت في الريـاض والكويـت.

كنـت الزوجـة التـي يبحـث عنهـا، جـاء صوتـه عـبر الهاتـف تحـدث كثـيرا لم يتطـرق إلى لقـاء الاختبـار الـذي اندفـع فيـه تحقيقـا لمؤامرة أعددتهـا مـع زوجتـه، القـرارات التـي تنتظـرني نابعـة مـن إرادتي وسـعادتي تقـوم عـلى إرادتـه الحـرة، وأنـا لا أملـك أي سـلطة عليـه، شـعرت أنـه يعـرف عنـي كثـير.

لمـا ناقشـت والـدتي لم تعـترض، المـرض لم يـترك لهـا مسـاحة أكـبر للنقـاش، أخـي المسـافر يـرى أننـي املـك قـراري خـالي الـذي كـثرت زياراتـه لمتابعـة أمـي صحيـا يعـارض، أمـا أقـارب والـدي فهـم مشـغولون بخطـاب دينـي جديـد أعادهـم للواجهـة، وجـاء صـوت صديقتـي مـن لنـدن أخبرتهـا ضحكـت قالـت إنهـا في سـلام مـع

نفسها، وعادت لها تلك البهجة المفعمة بالرقة والحنو متيقظة تسعى للحصول على إقامة دائمة في لندن، فقد تحققت رغبتها في نيل الدرجة العلمية، وأنها تمتلك سيارة تقودها بنفسها، وتعمل في مدرسة خاصة كمعلمة لغات شرقية، والأهم أنها تعيش مغامرة جديدة مع أسيوي مهاجر من أسرة ثرية يحمل جوازاً بريطانياً.

دعاني لتناول العشاء في مطعم عائلي ترددت خوفا من هوس رقابي تقمص الرياض، تتناقل الصحف أحداثه بين شاجب ومؤيد، المرأة والمجتمع نقاطه المحركة، احتفظ بدفتر العائلة الخاص بزوجي لوجود اسم ابنتي إضافة لبطاقة الهوية الوطنية التي عليها صورتي مع صور للدفتر قديمة بين ما تبقى من ذاكرتي.

هنا ومن خلال إحدى صديقاتي جاء العشاء في استراحة خاصة تقبع بين مساكن حي جديد في شمال الرياض، لم يكن هناك سوانا كان أكثر أناقة وأكثر صمتا، وسيارته التي أخذتني من مركز الرعاية الصحية الأولية بالحي ظهرا تقبع ساكنة بجوارنا، وقد أشعت أني في مهمة عمل سوف تؤخر عودتي.

قبل العشاء ونحن نتحدث في أمور لا تعنينا بجوار المسبح الممتلئ بالماء غافلني فخلع ثوبه وقفز في الماء وصلني الرذاذ فابتعدت خرج ولاحقني حاصرني ودفعني أمامه في الماء بملابسي صرخت فيه فلم يهتم وفي الماء التصق بي دفعني نحو الحافة رفع رأسه للسماء .

قال: هل تقبلين بي زوجا ؟

قلـت: نعم.

قال: حتى الممات ؟

قلت: حتى الممات.

قبلنـي ثـم حملنـي وخرجنـا مـن المـاء، العتمـة حولنـا والزمـن نملـك ناصيتـه. رتـب كل شيء جـاء لمنزلنـا مـع أحـد إخوتـه مـن أمـه، وحـضر والـدي مـن منزلـه الثـاني برفقـة السـائق، كتـب مأذون الأنكحـة العقـد وقعتـه ووقعـه ووقـع والـدي كـولي أمـري وأخـوه كشـاهد والشـاهد الثـاني كان سـائق والـدي.&

متآكلا بالصمت

في رحلة قاسية تشكل وجها متآكلا بالوجع، ومع الغضب هام في شوارع المدينة الراقدة في أحضان جبال السروات جسدا متآكلا بالصمت، تزوج وطلق في عام واحد نعتته بفاقد الرجولة؛ غير أنها لاحقته وهي في الشهر الثاني من العدة بأنها حامل، مع شكه لم يقف أمام تسجيل ولدها باسمه.

احترف أعمال كثيرة موظف حكومي سائق سيارة أجرة وحارس في مركز تجاري تعدد أنشطته وقود هوايته في الرسم ويرفض اعتباره فنان تشكيلي وان بعض شخبطاته اختارها أصدقاؤه لتكون تعريفاً لكتب أصدرها النادي الأدبي .

وجاءت ذات مساء كان يقف في بوابة القادمين في المطار باحثا عن راكب ينقله، تلفتت حولها ثم جلست في مقاعد الانتظار وخلت الصالة من المسافرين، تحركت على الرصيف قلقة اقترب منها شيء دفعها للسير بجواره ركبت بصمت السيارة.

عرف أنها قدمت لتشارك في عزاء أختها التي ماتت بعد معاناة مع المرض، طلبت رقم هاتفه لتسهيل تنقلها حتى عودتها لمدينتها ومنزلها في الشمال.

في اليوم الثالث جاء اتصالها أوصلها للسوق لا يدري ماذا تريد، بعد تجوال طال عادت، عرف إنها تبحث عن شيء فقدته؛

الرابعة عصرا اقترح تناول فنجان من القهوة في منتزه في أعلى جبال المدينة، لم ينتظر إجابتها فاتجه غربا لم يكن المقهى بعيدا .

في الصباح وهو يهم بمغادرة الدار جاء اتصالها، كانت ترتب سفرها في مكتب الطيران أكدت رقم رحلتها، ولفت نظرها حفاوة الموظف، عرفت هوايته فأصرت على زيارة مرسمه، ارتبك غير إنها حاصرته تجولت بين رسوماته وألوانه شعرت بالرعشة أمام وجه فتاة تشبهها وطفل ملامحه غريبة .

قال: زوجتي وابني.

قالت: نعم ؟

قال: طليقتي.

وهو يوصلها طلبت منه قبول دعوتها للعشاء، فرحلتها في العاشرة ليلا تحول هو المضيف نصب طاولة الأكل بين لوحاته وعلب الألوان، بعد المغرب جاء هاتفها تجول بين شوارع المدينة وأزقتها المظلمة في وجودية مدمرة؛ في الثامنة كان الاثنان يجلسان على مقعدي الطاولة، نهضت تفتت كآبة الغرف المعتمة ولتعلن البؤس الذي يمتصها لاحقها بنظره .

تجاوز انهزاميته وتذمره باحثا عن الحب شاطرته جنونه في إثبات وجوده ورجولته مع تخل عن عقلها معرية قشورها لتغوص في أيام طفولتها انه الماضي الذي ينتقم من كل شيء، تمرغ في داخلها إلى حد الموت.

في المطـار دخـل معهـا إلى صالـة المسـافرين، تنـاولا مشروبـا بـارداً والمذيـع يعلـن توجـه المسـافرين إلى بوابـة السـفر شـدت عـلى كفـه لتمتـص واقعـه ومشـاعره، ليبـدأ المرحلـة الثالثـة مـن حياتـه. &

في المرآة وجه يجهش بالبكاء

تجـاوزت تعـثر سـوء مـن كان يتـزود ممـن لا زاد لـه، بعـد ليـل طـال بـلا قمـر فتعلمـت نشـيدا منفـردا اهجـر فيـه ظـروفي الصفـراء عـن الحيـاة وهاجـس المـوت.

بكيـت لمـا رأيـت الضيـاع كمعشـوقة تنـزف كالشـلال في كل اللحظـات فأنـا زهـرة اسـتثنائية في حديقـة تعـج بالبسـطاء.

بعـد زواجـي تراكمـت الخرائـط بـدوت صغـيرة كحبـة سمسـم في بيـدر امتـدت فيـه السـنابل عـلى مـد النظـر.

اختفـى ذات ليلـة وتواصـل الاختفـاء فـراشي كسـته السـكينة، خفـق زخـرف الحيـاة المتعـالي فقـد ظلـه لأعـرف انه تـم توقيفـه والتحقيق معـه بسـبب خـلاف في إدارتـه، معهـا دخـل السـجن هكـذا جـاء اتصالـه القضيـة معتمـه .

تواصـل همـس زمـلاء العمل بغـير الحقيقـة فقاومـت كل العواصف، وفي نهايـة العـام الأول لغيابـه عرفـت انـه أفـرج عنـه، وسـوف يعـود لم اعـترض فـكان عـلي أن اسـتعد للحضـور، قنديـل عتيـق أسرج في داخـلي يكشـف الخـراب وتراكـم الغبـار فلـون طريقـي الـق جزائـر اللؤلـؤ حتـى اعـبر.

رن هاتفـي النقـال كانـت إحـدى صديقـاتي اعـرف عذابهـا قالـت: عرفـت مـن يشـاركني التسـول تحدثـت كثـيرا معهـا مزجـت مـداد

قلبي باللون الأخضر، غادرت الدار للسوق من اجل إعداد لحظتي الجديدة، لفت نظري عند المتجر الذي أتسوق حاجتي منه شغبه يشاركني التجول والوقوف عند المحاسب ليتلقفنا المخرج ويبتلعنا الشارع فشمس الله تشرق وقمر الخالق يضيء وكواكب السماء تلتمع.

لم أقاوم خوائه فقد نبه لحظة الابتسام، جمعتنا اللحظة تساوينا في صفة المنبوذين خطرت في أعماقي أزمان غير ذا الزمن.

قلت: هل تحفر

قال: نجرب

أنوجد الحال فقد وجدت من ينقب عن الحفر المندثرة في جسدي، غمر الصفاء أعماقي وانخضب السؤال؛ الهرب برزخ التائهين لا ادري كيف تغير لوني وكل خفق حكاية.

شعرت أني أغوص فيمتلئ جسدي بالماء وانتشي برواء المسافات واستعر المعنى المقشر بصورة ابني فتجاوزت الوصف وذهول الحالة.

الحفر حمل البشارة والتدفق شكل نطفة التكوين، فعلت شيئا مألوفا وقد تعودت النسيان. . الدقائق تكتم التفجر أنا اعبر نقوش البهاء، ساعدني كي أقوم من الرماد وارسم خط البدء والانتهاء ودقات قلبي أجدها تتجاوز جسدي النحيل.

المطر ينثال وأسترد معه الذاكرة التي فقدتها مرآة ترينني اتصال متوتر، دورانه أدى إلى اتحاد وجداني مع وجود زرع في

داخلي الهدوء والسكينة، القلق الطفولي تشكل ونظراتنا تلتقي تيقظ هاجسي كغيم تصاعد في الغرفة.

في مركز التجميل وأنا أعيد صياغة معالمي قالت إحدى العاملات وهي تنهي تشذيب أصابعي بعدما قصت شعري: ها أنت عروس لن يسأم رجلك من أنفاسك.

جاء لم يتحدث عن غيابه عانق طفلي، كفه الباردة عانقت كفي المفعمة بالحياة، لحظة التمرد انطلقت مع جسد غادرته حيويته لأنهض على شمس شتائية تضيء الغرفة. &&

الشـــاعر

هـــي مصادفـــة تحمـــل فلســـفة الجـــبر في إعـــادة تبويـــب خيـــاراتي وترتيـــب أوراقـــي المتحكمـــة في هـــذه الرحلـــة التـــي بدايتهـــا مشـــاركة كشـــاعر في وفـــد ثقـــافي أكمـــل أســـبوعا مـــن الحـــراك الأدبي والفكـــري عـــبر ملتقـــى ممثـــلي الجامعـــات الحكوميـــة في دمشـــق.

وكان أن رافقـــت أحدهـــم في رحلـــة بالســـيارة إلى عـــمان لمشـــاهدة جـــزء مـــن مهرجـــان جـــرش، وتمكنـــت مـــن إيجـــاد حجـــز في رحلـــة جويـــة إلى القاهـــرة لقضـــاء أيـــام مـــن ســـنة تفـــرغ علمـــي.

في المطـــار وجـــدت عائشـــة كانـــت برفقـــة ابنهـــا الـــذي أنهـــى برنامجـــا طبيـــا في أمـــراض المناطـــق الجافـــة لمـــدة ســـتة أشـــهر، أرســـلته للمشـــاركة فيـــه إدارة المستشـــفى الـــذي يعمـــل بـــه وبرفقتـــه زوجتـــه وطفـــلان.

موعـــد الســـفر يقـــترب والابـــن مختـــف بـــين مكاتـــب المطـــار والأم والزوجـــة والطفـــلان ينتظـــرون في قلـــق. لمـــا جلســـت عـــلى أحـــد مقاعـــد الصالـــة ركـــض الطفـــلان بشـــغبهما نحـــوي لمشـــاركتي الجلـــوس في المقعـــد

جـــاءت لنهرهـــم، وتبادلنـــا النظـــرات فابتســـمت وأنـــا أحتضـــن اصغـــر الطفلـــين. ســـألته عـــن اســـمه فتلعثـــم

قالت: محمد

قلت: هل أنتم في رحلة سياحة.

قالت: بين بين . .هذا ولدي محمود.

عرفت أن رحلتهم تأجلت بسبب نقص المقاعد إذ نسي الحجز لوالدته التي جاءت منذ أربعة أيام، وأقرب رحلة للقاهرة بعد يومين.

قلت: أتنازل عن مقعدي حتى لا يرتبك جدولكم وحجوزاتكم في القاهرة.

ناولته بطاقتي وتوجهنا إلى موظف الحجز الذي تمنع وأمام إصراري وافق بعد دفع ضريبة التبادل وتأجل سفري ليوم واحد.

في القاهرة نسيت الأمر وبعد أيام وأنا أجلس في مقهى بالهرم جاء صوتها الذي أعرف، كانت متجهة نحوي، شعرت بالحرج وكأس الخمر ينتصب على الطاولة، أحد أعضاء هيئة التدريس بالجامعة التي أنتسب إليها كرئيس لوفد يتعاقد مع بعض التخصصات للجامعة يشاركني جولتي السياحية ويرصد تأملي كمرافق، لما جلست نهض متشاغلا بمشاهدة الجمال والخيول التي يستأجرها الزوار .

قالت: ليه لم تتصل ؟

قلت: انشغلت بمراجعة مطبعة لطبع كتابي الجديد.

قالت: كتاب علمي ؟

قلت: ديوان شعر.

لم يطل مكوثها بعدما وعدتها بزيارتهم وعرفت مكان إقامتي ورقم هاتفي. في المساء رن الهاتف كانت عائشة وابنها يدعواني لحفل عشاء ساهر في كازينو على النيل، وإنهم بعد نصف ساعة سوف يجداني أقف عند باب البناية. بدلت ملابسي ومع تباشير الصباح كنت ألج شقتي .

تكرر اللقاء عرفت أنها أخصائيه اجتماعية ولما أصبحت أرملة تفرغت للعمل التجاري وناشطة اجتماعية في جمعيات مدنية ثقافية وإنسانية، ابنها طبيب متخرج منذ عامين ولها ابنة تعمل مدرسة كان زواجها منذ شهر.

بعد جولة في حديقة الحيوانات انسحبت حتى يمارس الجميع شغبهم بحرية، اتجهت أقدامي إلي مطعم الحديقة قدم لي النادل قارورة بيرة وأنا أتجرع كأسي الأول إذا بها تقف على راسي تابعتني وأنا اشرب صامتة ثم جلست طلبت من النادل كاس عصير فواكه طازج.

قالت: تشرب كثير ؟

قلت مرتبكا: قليلا أزجي به الوقت.

قالت: علامات البؤس واضحة عليك.

قلت ضاحكا: اخصائيه اجتماعيه المهنة دساسة.

قالت: متزوج ؟

قلت: لا

قالت: مطلق وعندك أولاد ؟

قلت: مطلق لم يفرح بليلته الذهبية

توقفت عن الحديث وابنها وزوجته والطفلان يقتربون منا، تناولنا طعام الغداء ونهضنا أصرا على دعوتي للسهر معهم في سكنهم وتناول العشاء، رن هاتفي كان موظف المطبعة يطلب حضوري لمراجعة بروفات طبع الديوان، قرر الطبيب مرافقتي بعد إيصال أسرته للسكن لتجهيز العشاء، تأخرنا في المطبعة بين تدقيق أرقام الصفحات ومراجعة ألوان الغلاف. بعد العشاء نام الطفلان وأمهما وبعد قليل انسحب الابن فنهضت مستأذنا .

قالت: اجلس أبغاك في كلمه.

قلت: أمرك.

قالت: من يوم تقابلنا وأنت شارد الذهن تحمل هموم الدنيا على ظهرك.

قلت: أبدا عامل السن وشلل الطموحات.

قالت: عندك صديقات هنا ؟

قلت: تجاوزت هذه المرحلة إنما أنا في سنة تفرغ علمي منذ شهر ومنشغل بتحديد موضوع اكتبه.

وأخذت الحوار إلى جانب أخر عرفت أني في الأربعين من العمر

قبل عشر سنوات تزوجت وفي ليلة الدخلة وأنا وعروسي التي اختارتها أمي نجهز أنفسنا لمغامرة الليلة الأولى أقلقنا قرع شديد على باب الغرفة.

كانت أمي التي انهارت على مقعد بجوار باب الغرفة وأمسكت بكفي قالت: وهي تبكي إن العروس التي بعد لم تخلع ثوب الفرح أختي من الرضاعة؛ كشف ذلك حديث دار بين بعض الأقارب وهم يبارك بعضهم لبعضهم بتوفيقي وحسن اختيار أمي، وعندها جاء ذكر أسماء من تغيب عن الحفل فلما ذكر اسم إحدى الجارات تم ربط اسمي واسم عروسي بها كمرضعة ولما تم الاتصال بها أكدت ذلك وشهد بذلك إحدى الحضور، معها شيء في داخلي انكسر وانخفضت نسبة الهرمون في الدم وأدمنت شرب الخمر بسبب الصراع النفسي الذي تغلبت عليه ولم أتجاوز العجز الجنسي .

قالت: يعني فوبيا الخوف . . !

قلت: لم أكن بريئا قبل الزواج، لكن بعد الحادثة توقف كل شيء.

قالت: جربت.

قلت: في سنوات الهروب نجحت في عملي وكونت بعض الصداقات غير أني لم أتجاوز الملامسة.

سمحت لي بالخروج مشيت على قدمي طويلا وأنا أعاتب نفسي على تحدثها في أمر خاص دمرني، حتى عثرت على سيارة أجرة أوصلتني لشقتي. لما فتحت الباب كانت الخادمة ترقد مكومة

على مقعد أمام التلفزيون وقد انحسر ثوبها عن فخذها وتهدل صدرها وتبعثر شعرها، أخرجت قارورة الخمر من الثلاجة وشربت كاسي الأول والثاني، ومع تحركي تنبهت كنت أتفحص جسمها الشاب النحيل ولون بشرتها السمراء، مددت كفي أتحسس الفراغ وتوجهت لغرفتي تمددت في الفراش ونمت .

بقيت في الشقة يومين زارني فيهما زميل الجامعة مودعا للعودة للرياض، لم أهتم بتبليغه تحياتي لأحد، ولم يهتم بأخذ بعض نسخ ديواني الجديد التي أحضرها من المطبعة .

أصبت بوعكة حمى شديدة اعتنت الخادمة بي وأخذت ترد على الهاتف لأجد عائشة وابنها يفحصني تطلب من الخادمة إحضار أدوية كتبها لي. ودعني الاثنان لتعود عائشة بعد ساعتين للعناية بي، طال مكوثها وتكررت زيارات ابنها وزوجته والطفلين حتى خف أثر الحمى.

جاء الابن وزوجته لمشاركتهم رحلة للإسكندرية اعتذرت، ومعها استمزجت عائشة ابنها البقاء للعناية بي حتى عودتهم، بعدها منحت الخادمة أجازة ليومين وبقينا لوحدنا عنايتها ذكرتني أمي وأخواتي وجو الأسرة الذي فقدته في رحلتي، لم تمنعني من شرب كأس خمر مع الدواء الذي تحسب مواعيده، شيء في يتحرك وكفها تلامس جبيني بين وقت وأخر لمعرفة حرارة جسدي .

نحول جسمها ورشاقته خلقا التوتر في داخلي وتورد خديها واكتناز شفتيها وشعر رأسها القصير الممزوج بألوان مختلفة يدفعني لبناء قصيدة جديدة وأنا استمع لها وهي تقرأ

قصائـدي وأنفاسـها تشـعرني بـاني أتجـاوز غصتـي .

دفعتنـي للنـوم بـسروالي الأبيـض الطويـل وفانلـة كـم قصـير بيضـاء أصابعهـا تجـس أضلاعـي وتمـس عضـلات صـدري كانـت ترتـدي قميـص إحـدى بجامـاتي لم تغلـق أزرتـه العلويـة فتهـدل صدرهـا وتلبـس أحـد سراويـلي البيضـاء القصـيرة أنفاسـنا تختلـط في جنبـات الغرفـة وان أعـدت فراشـها للنـوم في الغرفـة الثانيـة مـن الشـقة .

نزلـت كفهـا عـلى بطنـي وهـي تجرعنـي حبـة وأدويـة منتصـف الليـل، صـوت موسـيقى هادئـة ينسـاب مـن التلفزيـون انحنـت تضـع كأس المـاء عـلى الكوميديـون وضعـت كفـي عـلى كفهـا والعـرق يتصبـب منـي .

قالت: لم تتصبب عرقا.

قلت: الحمى.

قالت ضاحكه: آلمتني.

كنـت أهـصر كفهـا بقـوة. جلسـت في الفـراش قبلـت جبينهـا رائحـة شـعرها أدرك نشـوة مغيبـة؛ لم يزعجهـا تـصرفي بعفويتهـا أمسـكت بذراعـي وسـحبتني خلفهـا وبغريزتهـا أخذتنـي إلى الغرفـة الثانيـة ولبديهتهـا تعاركنـا؛ مـع الحـس المشـترك تحـررت مـن التوتـر والقلق والشـعور الـذي فقـدت معـه كل أمـل فأطلقـت ألانـا لمواجهـة اليـأس وإذا بي اجتـاح قلاعهـا في تجـاذب خـال مـن الضغـط النفـسي. لم أشـعر بالخـوف مـن الفشـل .

في الواحدة ظهرا تنبهت من النوم استرجعت ما حدث غادرت الفراش لم أجد أحداً في الشقة شعرت بانقباض متوهما أنه حلم بسبب الخمر فجلست على أحد مقاعد غرفة التلفزيون أقيم الموقف بدون ضغط ووساوس ليفتح باب الشقة كانت عائشة تحمل بعض المعلبات والخضار، لما لمحتني قهقهت بصوت عال ورمت علي منشفة حمام ملقاة على التلفزيون ودخلت المطبخ .

قلت: هل حدث أمر

قالت: نعم . . الذي بدد الأمور المترسبة في أعماقك.

قلت: يعني.

قالت: كل طرف من جسدي وبذاتي تفجر، انهمر المطر كما شلال معه سالت الأودية وأنساب الماء غدقا في صحراء امتدت إلى ما لانهاية.

دخلت الحمام الماء المنسكب على جسدي نفض قلقي ونحن نتناول الغداء اقترحت الخروج للتجول وحضور عرض مسرحي بعده نحتفل بتجاوزي وعكة الحمى بعشاء في مطعم احد الفنادق ننعم فيه بلحظة مرح مع الموسيقى والغناء.

سافرت إلى لندن مواصلا رحلتي العلمية ووجدت الموضوع الذي أبحث فيه فأنجزت هدفي وعدت للرياض قبل نهاية سنة التفرغ بأيام.

في حفل خاص احتفل بعض الزملاء بعودتي وبديواني الثاني الذي

وصلت نسخه منذ أشهر وتناقش الأصدقاء حول دراسة قدمتها زميلة في قسم البنات تخصصها أدب إنجليزي فتت النصوص وسلبتني وعيي الشعري ومقدرتي في كتابة نص يحمل قضية إنسانية وأن قصائدي مجرد وصف بلاغي ونظم روحه الشعرية غائبة عن مقاربة ظواهر الحياة البشرية وخصوصا علاقة الإنسان بالطبيعة، في مقارنة مع بعض النصوص الشعرية في الأدب الإنجليزي مستشهدة بما جاء في مقال لها عن ديواني الأول وتقبل الساحة الأدبية بصحافتها ومنتدياتها له .

ولما خلوت مع نفسي بعد عشاء دسم أعدته الوالدة تطرقت فيه إلى زواجي وحلمها بمشاهدة أحفادها مني خطر لي الاتصال بالزميلة التي جاء اتصالي متوقعا كما تقول لمناقشتها في ما جاء في الدراسة عن ديواني الثاني وتطور موهبتي الشعرية.

قلت: تتزوجيني ياسامية ؟

لم ترد اعرف إنها تجاوزت الثلاثين منشغلة عن من حولها بأحلام ومشاريع معها كانت ترد كل متقدم للزواج حتى عرفت بالراهبة كغلاف مراوغ لوصف العانس.

قالت: نعم.

في سرية تامة حسب تخطيط الوالدة الذي اتفق مع هواجس سامية جرى كتب الكتاب في منزل أخيها رجل الأعمال الناجح وأخذتها إلى غرفة بفندق مميز بخدماته جاءت الليلة الأولى باردة وفي الثانية تغلب عبثنا على توترنا فاقتحمت قلعتها فاتحا أبوابها ومشرعا نوافذها التي أغلقتها متناسية أنوثتها

ونـداء الطبيعـة فتراكـم عليهـا الغبـار وأغصـان وأوراق نبـات متمدد جفـت عروقـه .

بعـد أشـهر سـتة أعلنـا زواجنـا في الجامعـة والمجتمـع معهـا توقـف تـداول حكايـة شـذوذي واني مثـلي غريـب الأطـوار في داخـلي نزعـة اسـتبداد، لعلاقـة مـع فتـى فلسـطيني والـده يعمـل مديـرا ماليـا في شركتنـا التجاريـة المتعـددة الأغـراض، في أيـام الدراسـة بالثانويـة شـاركني في بعثـة توسـط والـدي لـه لمرافقتـي معهـا فضـل الاغـتراب وبـدل جلـده، كانـت متداولـة ولم تصلنـي ولكـن الزميلـة والزوجـة روتهـا لي وذكـرت إنهـا تطرقـت لهـا في مقالهـا منـذ أربـع سـنوات عـن ديـواني الأول .&

السجن

بعـد لقـاء أدبي في المركـز الثقـافي ومـن خـلال اهتمامـي الشـخصي وصلتـي بمديـر المركـز شـاركت في الحـوار الـذي جـاء عقـب اللقـاء في مـكان يلتـف فيـه ثلـة مـن المثقفـين في مقهـى الربيـع، وفي الثالثة صباحـاً أوصلـت أحـد ضيـوف اللقـاء إلى الفنـدق.

أثنـاء عـودتي كان رجـال الشرطـة قـد أقامـوا متاريسـهم عنـد دوار زهـرة البنفسـج، تفحصنـي رجـل الشرطـة وآخـر بملابـس مدنيـة، وعندمـا هممـت بالتجـاوز سـمعت نـداء

يطالبني بالوقوف .

فتـح الرجـل ذو الملابـس المدنيـة البـاب الخلفـي وأخـرج حقيبـة يـد مـن عـلى المقعـد الخلفـي . .

طلـب فتحهـا. اعتـذرت لأنهـا لا تخصنـي وإنمـا هـي لرجـل أوصلتـه الفنـدق غـير أنـه أصر عـلى فتحهـا وقـام بكـسر القفـل.

تـم حجـزي، وفي الصبـاح تمـت إحالتـي إلى السـجن وبعـد أشـهر صـدر حكـم القـاضي الشرعـي بسـجني عـشر سـنوات.

في السـنة الأولى فصلـت مـن وظيفتـي كمعلـم للغـة الإنجليزيـة، وفى العـام الثـاني توفيـت والـدتي، وفيـه طلبـت زوجتـي الطـلاق بعـد أن أنجبـت ابننـا الثـاني.

وفي العـام الثالـث حـرم أبي عـلى إخـواني ذكـر اسـمي في الـدار، وتـزوج أخـي الأكـبر زوجتـي وبعـد ذلـك اختفـت أخبـار أسرتي.

لمـا تغـير مديـر السـجن طلـب المديـر الجديـد منـي العمـل في قسـم الإرشـاد ضمـن

المدرسـة التـي فتحهـا لتدريـس المسـجونين، وحفظـت أجـزاء مـن القـرآن الكريـم.

في نهايـة العـام الثامـن خرجـت . لا أعـرف أيـن أذهـب مـع شـهادة إبـراء ذمـة وحسـن سـلوك مـن إدارة السـجن ومبلـغ مـن المـال لقـاء عمـلي وجائـزة حفـظ أجـزاء مـن القـرآن الكريـم.

كانـت السـاعة الثانيـة بعـد الظهـر فضلـت المـشي فاخترقـت شـوارع الطائـف، مـررت بجـوار المدرسـة التـي كنـت أعمـل بهـا، ودخلـت السـوق . . أكـثر المحـلات مغلقـة ورائحـة الآكل في المطاعـم تشـعرني بالجـوع، ارتفـع أذان العـصر فدخلـت لأداء الصـلاة . .

تناولت بعض الأكل وتجرعت كوباً من الشاي.

اتجهـت إلى موقـف السـيارات، كنـت أغـادر الطائـف في طريقـي إلى جـدة متذكـرا البحـر وأيـام دراسـتي الجامعيـة.

بعـد أسـبوع زرت مدرسـة تعليـم قيـادة السـيارات، قدمـت للمسـئول عـن المدرسـة رخصتـي الخاصـة و المنتهيـة وشرحـت أمـري وحاجتـي لرخصـة قيـادة عامـة . تعاطـف معـي، فـكان أن اجتـزت الاختبـار وحصلـت عـلى الرخصـة.

قمـت بزيـارة فـرع البنـك الـذي يوجـد لي حسـاب في أحـد فروعـه،

ودخلت على المدير . . زودته برقم حسابي القديم فكان به ثلاثون ألف ريال وبعض الهلات وطلبت منه إضافة جزء مما حصلت عليه ونقل حسابي إلى الفرع حتى يكون قريباً مني.

استأجرت منزلا شعبيا في أحد الأحياء الفقيرة التي اختلطت جنسيات سكانها ثم اشتريت سيارة أجرة.

حصلت على أول أجر من (مشوار) إلى المطار، اعتدت ذلك، كنت أشغل وقتي بقراءة الصحف وبعض الكتب التي أجدها في طريقي.

تعرفت على إمام مسجد الحي الضرير وطلب مني مساعدة ابنه في درس الإنجليزي،

صاحب المنزل الذي أقيم فيه وهو رجل شرطة طلب مني إيصال بناته إلى المدرسة بأجر ساهم في إيجار المنزل.

إمام المسجد الضرير يقوم بتدريس مادة القراءات في كلية المعلمين وله زوجة أخرى معلمة .

من كشك الصحف و الكتب في المطار حصلت على كتاب تذكرت صاحبه عندما صافحتني صورته، كان صاحب الشنطة وسنوات السجن.

طلب الإمام الضرير إيصاله لمنزل زوجته الثانية لأن السائق ذهب بزوجته الأولى إلى السوق وتأخر.

في الطريق ذكر أن زوجته الثانية كانت طالبة عندما كان يدرس القرآن الكريم في ثانوية البنات.

تصفحت الكتاب وأخذت أتذكر أيام اهتمامي بالثقافة والعمل وزوجتي وأسرتي وتخيلت ابني أسامه و الأخر الذي لا أعرف اسمه الآن.

زارتني حوادث و صور في منامي، استعذت بالله من الشيطان وأنا في طريقي لتأدية صلاة الفجر، صلى بنا المؤذن . عرفت أن الإمام متوعك في منزله.

في العاشرة صباحاً كنت أقرع الباب، وجاء صوته مرحباً.

أخذت الصحيفة التي اعتدت قراءتها من إحدى البقالات وأنا في طريقي للمنزل جاءت صورة الكاتب الذي لم أنسه تتوج مقالا طويلا عن المجتمع.

في ساعة متأخرة من الليل جاء صوت زوجة إمام المسجد ترجوني الحضور لنقل زوجها للمشفى . انتظرت فحصه في قسم الإسعاف و تزويده بالعلاج.

كانت سافرة الوجه تجلس في مقعد السيارة الخلفي، أنفاسها تلفحني.

دعاني الشرطي لحفل عشاء أقامه بمناسبة ترقيته، وجدت في الحضور الكاتب . لم يعرفني عرفت أن الكاتب متزوج أخت الشرطي، وأنه مسئول كبير في إدارة هامة. أشعرته باني أقرأ كتابه الجديد.

عاد الإمام للمسجد وحركته، في تجوالي المعتاد وكتاب جديد على المقعد بجواري داخل السيارة . حملت امرأتين وطفلا في

الثامنة من إحدى الشوارع وتحركت، وقع الكتاب بين أقدام الطفل انحني وحمله، هم بوضعه على مقدمة السيارة وهو يلتفت نحو المرأتين لسماع إرشاد هما لي حتى أعرف الطريق . أخذت إحداهن الكتاب من بين يدي الطفل وأخذت تقلب الصفحات، وصلت إلى العنوان وترجلتا، نقدني الطفل أجرتي .افتقدت الكتاب. وأخذت

اضحك ..

اتجهت إلى مقهى في خارج المدينة مع بعض الصحف طالعت نتائج اختبارات نقل

الطلاب في بعض المدارس شيء شدني إلى قراءة أسماء إحدى مدارس الطائف كان أبني أسامة، انحدرت دمعة وتلافيت رغبة في البكاء.

اشتريت أرضا وقدمت أوراقها للبنك العقاري وتمكنت بعد أشهر من التعاقد مع مؤسسة بناء بعد حصولي على قرض من البنك الذي فيه حسابي برهن الأرض وقيمة القرض العقاري.

أنجزت العمارة بهدوء من دورين كل دور سكن خاص.

أقام أحد الجيران حفل عشاء حضره الشرطي والكاتب، بعد العشاء اتجهت إلى مقهى خارج المدينة.

التحقت بشركة معدات كموظف، لم أترك سيارة الأجرة، باح لي الإمام الضرير بأنه طلق زوجته المدرسة لأنها لا تنجب، قلت ضاحكاً أني ابحث عن زوجة لا تنجب.

بعد أيام ابلغني بموافقة أسرة زوجته المطلقة على خطوبتي .

طلبت مقابلتها . تحمل مسحة من الجمال و الحزن أخبرتها عبر الهاتف بتاريخي وجدتها ترحب بي، وفى حفل مبسط تزوجت.

بعد أشهر طلبت مني البحث عن أسرتي وأمام ترددي أغرتني برحلة نهاية الأسبوع إلى الطائف .

أصرت على أن أدخل الشارع الذي به منزلنا القديم وجدنا في الشارع خيمة منصوبة وكراسي مصفوفة فتحت زجاج النافذة . سألت أحد الأطفال عن الخيمة . فإذا بها مجلس عزاء لوفاة والدي، طلبت مني إيقاف العربة والنزول . أمسكت بيدي . . سالت الأطفال عن مكان عزاء النساء دخلنا المنزل القديم أخذت تصفق، خرجت امرأة ما أن لمحتها حتى عرفت أنها أختي . رفعت زوجتي الغطاء عن وجهها تقدمت منها ضمتها إلى صدرها معزية.

انكبت أختي على كفي تقبلها وهي تبكي وخرج أخي الأكبر من غرفة الجلوس على الضجة، أسرع ألي اخذ يبكي وهو يحتضنني أخذت أختي زوجتي إلى غرفة النساء وجاء أخي الآخر.

وأنا أدخل غرفة الجلوس حيث يجلس مجموعة من الأطفال و الشباب تلفت أتفحص الوجوه، اقتربت من فتى في السادسة عشرة وأخذت أحدق فيه، همست: أنت أسامة؟، هز رأسه،

قال أخي الأكبر: هذا أبوك لثم أسامة كفي، وجاء من طرف الغرفة فتى يصغره كان عبد الرحمن ابني الذي لا أعرفه..

أخذنا نتحدث عن الأسرة وعن أخباري . كنا نتوقف عند تاريخ دخولي السجن مستعيدين ذكريات الطفولة، عرفت أن أسامة و عبد الرحمن من خلال عدم ذكر اسمي بين الأسرة ظنا أني ميت .

بعد يومين من الذكريات، أخذت زوجتي إلى افخر فندق في المدينة . بعيداً عن الناس أخذت تحدثني عن أسرتي و المصادفة التي حدثت.

عدت لعملي وعادت زوجتي لعملها.

الشرطي دعاني وزوجتي لعشاء خاص تحدثت عن قصتي مع السجن وحياة أسرتي .

الكاتب حدق في وهو يرتعش، خرج دون أن ينبس بكلمة، الإمام الضرير أخذ يعلق على تجربتي، بعض الجيران اللذين كنت التقي بهم في المسجد حمدوا صبري .

بعد انتهاء العشاء أخذت زوجتي إلى البحر جلسنا على أحد الكراسي نتابع زبد الموج عبر ما يصل من ضوء الأعمدة الممتدة على طول (الكورنيش) . . من خلال الصمت تخللت أناملها أصابعي شعرت بالحياة تسري في داخلي وينبثق عبر البحر نور يرتفع إلى السماء،

من خلاله أخذت أتأمل وجه زوجتي . . شيء فيها يشرق، وقطعت تأملي بالتفاتها نحوي وهي تضحك.

مقاطع من حياة جرذ

(١)

توقف قليلا . وأجال نظره فيما حوله . الشارع خال من المارة، لقد رصد كل شيء .

يعرف ذلك مسبقا ثم اتجه إلى الباب المشرع . ولج المكتبة تجول بين الأرفف قليلا . ثم اقترب من موظف المكتبة .

ـ لو سمحت شاكر موجود

ـ من

ـ الأستاذ شاكر . .

تأمله الموظف لحظات ثم رفع سماعة الهاتف وطلب رقما داخليا ثم أعاد السماعة .

ـ نعم في مكتبه

خرج بهدوء متمايلا في مشيته . للمرة العاشرة يقدم على هذه الحركة، وتردده الراصد لمقر النادي الأدبي يملأ داخله بالخيلاء أخذ الطريق يمتلئ بالمارة .

وهـو يجتـاز بوابـة المبنـى متجهـا إلى عربتـه، لمحـه بعـض مـن يعرفـه . أشـار لهـم بزهـو . ثـم امتطـى عربتـه مغـادرا .

(٢)

السـاعة تشـير إلى السادسـة صباحـا في يـوم منـذ عشريـن عامـا، أخذ الطفـل النحيـل يجتـاز الطريـق الـترابي متجهـا إلى مدرسـة القريـة، والدتـه تتابعـه بنظراتهـا . كلـما اختفـى تلاحقـه حتـى لا يغيـب عـن نظرهـا، تجـاوز الخـوف بـإصراره عـلى أن يصـل أول الطـلاب حتـى يحتـل المقعـد الأول في فصلـه . وهـذا يجعلـه يبكـر بالذهـاب كل يـوم، لمحهـا احـد عـمال المـزارع الغربـاء تتلصـص . لازال الظـلام يسـيطر عـلى الكـون، فأخـذ يراقبهـا حتـى عـادت . اعـترض طريقهـا تأملتـه بثبـات فلمحـت في عينيـه نـداء، تلفتـت حولهـا . . لا أحـد هنـاك . . عـادت إلى المنـزل تمـددت في فراشـها متعبـة . أخلـدت إلى النـوم .

(٣)

بحثه عن السباق المدرسي في القرية توقف بعد انتقاله لدراسة المرحلة المتوسطة والثانوية في المدينة، وأقام في منزل خاله، فالتقرب من المدرسين والوشاية بالزملاء وسيلة تمنحه درجات التفوق .

روضة ابنة خاله التي تفصلها عنه خمس سنوات تراقب نجاحه المستمر وهو يساعدها في حل واجباتها وشرح دروسها ولم تشعر بأنه بعيدا عنها بفكره وقلبه . همه تحقيق طموحه ومع ظهور نتائج اختبار الثانوية العامة عاد للقرية مخططا لانتقال أخر . أخذ يجهز أوراقه للالتحاق بالجامعة في مكة المكرمة ليبرمج معاشه بعيدا .

(٤)

أستمر في مزاولة التجسس على زملائه في الكلية وأخذ يصنفهم لدى رؤساء الأقسام من خلال مخالطته لهم .

وأصبح أحد أعضاء هيئة التدريس بالكلية لحصوله على الامتياز والمكانة التي كسبها لدى إدارة الجامعة .

فخالطه الزهو . وتلفت حوله فلم يجد أصدقاء الماضي، وأخذ يكون روابط عمل . بين وقت وأخر .

(٥)

عاد إلى روضة، شعر بأنها تشاركه أفكاره ونجاحه . أخذت تبتسم مدركة الدور الذي يريده لها . وهي تنتقل من مجتمع محدود التعليم إلى وسط تنوعت فيه المشارب وكثرت عنه الحكايات .

كان يأتي نهاية كل يوم مرهقا . فتتأمله وهو يتضاءل أمامها .

ـ سوف أكمل دراستي

ـ اين . . ؟

ـ الجامعة

ـ ماذا

توقف عن النقاش وقدم أوراقها للكلية التي بحاضر بها، وفي قسم أخر منحها فرصة التفوق التي لم تكن بحاجة لها .

واستطاعت أن تحقق دورا قياديا في النشاط الطلابي . نجاح جديد أصابه بالغرور وهو يلاحق نجاحها، واستقر في ذهنه أن قدرته أكبر

(٦)

توقف عند فكرة المولود الذي تأخر وهو يداعب أطفال الزملاء . فكر في الزواج من طالبة يشرف على بحث تعده .

كانت تناقشه بحرارة، شعر بأن سلطانها يتعاظم . في صمت تزوجها وكانت الثمرة الأولى ولدا .

(٧)

روضة لم تتوقف عن مواصلة تحصيلها العلمي

(٨)

اصطدم بطالب من الكلية يناقش بعض القضايا التي يطرحها في محاضراته في صحيفة يعمل بها محررا . فوجدها فرصة حيث أن السبق في الحرم الجامعي حرمه المشاركة في الصحف فأخذ يتحدث ويزود الطالب بمقالات تحمل نظرته العلمية ودوره في صياغة محاور جديدة لفكر وثقافة طليعية .

(٩)

رشح اسمه لعمادة القسم للمرة الثانية توجس الفشل اتصل بروضه يستنجد قررت مساندته وقد أصبحت عضو في مجلس الكلية . غادر مكتبه اتجه إلى المنزل لم يكن هناك سوى طفله وخادمة سمراء؛ فاجأها مظهره المرهق تناولت غترته وعقاله أدخلته غرفة النوم تمدد بثوبه أحضرت كوب ماء تجرعه . لم يقاوم قيامها تجريده من ملابسه أحس بخدر لذيذ وهي تدلك جسده العاري تسللت كفه بين ملابسها .

القطار

منذ زمن طويل تسرب قرف لا أدري مصدره إلى داخلي . معلنا رفض الكتابة عن انسحاقي فسحل ما تبقى من وجودي فوق شوارع مدينتنا حتى لا أستمر في الرفض الصامت لكل ممارسة غبية .

أستقل القطار المتجه إلى الشرق . بؤبؤ عيني اليمنى في محاولة تمويه لخرق الصمت، فإذا برجال وإناث يحملون معاول حرث الأرض ويرتدون خوذات الحرب يعترضون سبيله، وقد تهشم جزء من الخط الحديدي وجرى إشعال النار في حطام أشياء لم أستطع تمييزها، إنما أدركت أنها مكونات خاصة جرى نهبها .

شروع الحزن إلى داخلي اجتاح كل مقاومة للانبثاق . وبالتالي حرم علي التطلع إليها، سوى حلم يرافقني عندما امشي وحيدا أو حين أختلي بهمومي في ركن مهجور من المقهى الذي اهرب إليه كل ليلة .

ـ أين أنت يارجل . . !

أمر غريب السؤال . فانا موجود وجود هذا المكان لا أحد يستطيع تجاوزي؛ هذا ما واجهني وأنا أدخل أحد المحلات التجارية، إذ نهض صاحب المحل وأخذ يرحب بي وعندما لم اشتر شيء قدم لي هدية زدت تخاذلا .

ـ ابحث عن شيء تحت ملابسك

ـ وماذا تريد

ـ اعرف لون سروالك الصغير

استلقت على قفاها وهي تقهقه بهستيريا احبها . فقدتها منذ إلف عام . . تذكرت الدم الذي تمدد في شوارعنا ابتداء من مدخل القرية الذي لم يصمد مقاوموه في وجه جنود الاحتلال، وهم يقتحمون كل شيء يطلقون الرصاص في كل اتجاه .

حتى نفقت الأبقار والحمير وأخذ الدجاج يهرب هنا وهناك في بحث مستميت عن كن أمن، والحمام يشكل مجموعات تهاجر سماء قريتنا كما هاجر شبابها منذ الاحتلال الرهيب وتركنا الجميع، لم يعد هنا غير إطلال ونحن الاثنان .

كنت اجلس على عتبة باب دارنا الذي تهدمت شرفاته . ومريم تجلس خلف إحدى الطاولات بمدخل المقهى الصغير الذي ورثته بعد مقتل والدها في الهجوم الأول للغزاة .

كان همي الأول معرفة لون ملابسها الداخلية . فقد لمحتها ذات ظهيرة تقوم بفرد بعض قطع القماش الصغيرة على حبل الغسيل فوق سطح دارهم من نافذة غرفتي منذ ثلاثين عاما، فأسرعت إلى الشارع واتجهت إلى الدار التي تقطنها مع أسرتها ولم اهتم بنداء والدها الذي يشرف على طلبات زبائن المقهى الذي يشغل الدور الأرضي من المبنى مع محل لبيع الفول والحمص .

أعـرف طريـق السـطح . توقفـت عـن الغنـاء عندمـا وجدتنـي أمامهـا وأنزلـت إزارهـا عـلى سـاقيها وذراعيهـا، اقتربـت مـن سـلة الغسـيل وأخـذت أسـاعدها كنـت اختـار الملابـس الصغـيرة ذات اللـون المميـز سرى ضحكهـا في جسـمي كـما شرارة لهـب، فاسـتفزها ملوحـا ببعـض القطـع الصغـيرة قبـل تمديـده عـلى الحبـل وتطـاردني عـبر السـطح .

ـ ماذا جاء بك

ـ لمحتك من نافذة غرفتي

ـ اعلم

ـ شيء دفعني

ـ إلى أين

ـ إلى هنا

كنـا متجاوريـن نجلـس عـلى مقعـد خشـبي . بعـد فـراغ سـلة الملابـس وتبلـل ثيابنـا، كانـت ترتعـش، والعـرق يتصبـب مـن جبينها فأخـذت امسـحه بكفـي وقـد أسـندت ظهرهـا ورأسـها إلى الجـدار المنتصـب خلفنـا، صدرهـا يرتفـع وينخفـض شـعر رأسـها القصـير ينـدس تحـت غطـاء شـفاف، أنزلـت كفـي فـوق عينيهـا المغمضتـين ثـم فـوق شـفتيها وواصلـت حتـى هـصرت صدرهـا .

كثـيرة هـي الأشـياء المختفيـة في حياتنـا . كان عـام ١٩٤٦م مرحلـة انفصـال حقيقـي لجميـع الأسر، لم يتبقـى سـوى الجـذور التـي تنتصـب فوقهـا قامـات تجـردت مـن الغصـون وتشـقق عنهـا مـن

عوامـل الطبيعـة اللحـاء . مـا عـدى اسر تعـد عـلى أصابـع اليـد الواحـدة مـا زالـت لهـا فـروع مثمـرة لم تتأثـر حتـى مـن عـام ١٩٥٦م ولكـن نزفـت الـدم عـام ١٩٦٧م .

ـ مريم في هذا المقعد كان والدك يجلسني

ـ وقدم الشاي مجانا

ـ تعرفين

ـ كان يقول لنا

ـ إنما والدتك اينها

ـ نزحت مع أبناء عمها

كل شيء مهـدم تمـلاء المـكان عفنـا . قـررت الهجـرة بعـد أن بـدل الاحتـلال معـالم القريـة

ـ لماذا لا نتغذى

ـ وعمال المنجرة

ـ غيابك لا يؤثر في جدهم

الفـرح الـذي توقعتـه وأنـا اجلـس لم اجـده . سـافرت عشريـن عامـا ولمـا عـدت كانـت موجـودة، هـا نحـن الآن اثنـان وحيـدان كل مـا حولنـا بقايـا ذاكـرة، كانـت تتحـرك وحديثهـا يتواصـل قـررت مشـاركتها الحركـة قـادني صوتهـا جـاء ظهرهـا للبـاب مكونـات جسـدها تدفعنـي لقـراءة تفاصيلـه وتخمـين لـون سروالهـا الصغـير، شـعرت بلفـح أنفـاسي التفتـت ضاحكـة طوقتهـا بذراعـي تقابلنـا في

قبلة تأجل تنفيذها أربعين عام .

الرواد يتقاطرون . لم أكن أتوقع أن هنا زبائن ورواد فهذا الجزء القديم من القرية مهجور، شعرت بالغربة ومريم تختفي واحدهم يتسلل إلى الداخل طال الترقب ليخرج ثم يتسلل أخر لم يطل مكوثه عاد وتطل مريم التف حولها الجميع .

ـ أعرفكم ياجماعة على رفيق الطفولة مازن اسرته جيراننا

انفرجت الوجوه التي لم تتجاوز رقم عشرة، مددت كفي التي هرب منها الدم مصافحا وغادرت المكان .

لم اعد أذكر ماذا حدث . دوى انفجار هائل التفت فزعا وواصلت الطريق، عربات العدو تطوق المكان يصلني أزيز الرصاص خطواتي ثابتة واحد . . اثنان . . واحد . . اثنان، دخلت المنجرة التي ورثتها مع إخوتي عن أبي حشرت جسدي خلف المكتب وطلبت من صبي المقهى الذي اقترب لما وجدني شايا وأرجيلة .

توقفت عربة الشرطة أمام باب المنجرة . ترجل منها الشرطي دخل المقهى ثم عاد وتجاوزني دخل ورشة المنجرة وخرج وهو يمسك بعامل تجاوزني الاثنان وركبا العربة التي غادرت الشارع بصوتها المميز .

أخرجت من جيب القميص منديل قماش لونه احمر . مسحت به وجهي وزجاج النظارة ولما أعدته إلى مكانه،أخذت اصدر صوتا كصوت القطار تركت مقعدي غادرت المنجرة متخذا مسار سيارة الشرطة غير مبالي بنظرات من اجتازهم .

المحاضر

أخـذ يعـد درجـات سـلم المنصـة.. واحـد.. اثنـان.. وكانـت الثالثـة سـطح المنصـة التـي تربـع فوقهـا كرسـيان وطاولـة انتصـب عليهـا لاقطـان للصـوت وكأسـان مـن الزجـاج الأبيـض وقسـطل مـاء صغـير فـوق سـطحه قوالـب ثلـج ملفـوف بفوطـة بيضـاء.

جلـس فـوق أول كـرسي ثـم أخـذ يقلـب أوراقـاً دسـها تحـت إبطـه وهـو يتجـه إلى المنصـة. طـال تقليـب الأوراق دعـك جبينـه بيـده اليمنـى ثـم أخـذ يتأمـل الكـراسي الفارغـة المرصوصـة أمامـه.

(أخـواني.. الأوراق بـين يـدي فارغـة بمعنـى أصـح بيضـاء. خاليـة مـن أي حـرف .. أيهـا الأخـوة.. لقـد نسـيت نـص المحـاضرة.. إنمـا في الذاكـرة شيء مـما كتبـت فأرجـو المعـذرة.. إذا كان هنـاك إسـقاط.. أو تقمـص هفـوة).

وصمـت.. توقـف عـن الـكلام .. وران الصمـت لم تنبـس المقاعـد بكلمـة.. تحـرك قليـلاً في مكانـه وأفـرغ قليـلاً مـن المـاء في احـدى الكأسـين..

(أيهـا الأخـوة.. منـذ بـدء الخليقـة.. والإنسـان يبحـث عـن مكانـه المناسـب.. و.. و..)

خـرج مـن بـين المقاعـد طفـل في الثالثـة مـن عمـره رث الثيـاب يطـارد شـيئاً غـير مـرئي وأخـذ صوتـه الطفـولي الجـذل يمـلأ القاعـة..

سحنته المعروقة تدل على أنه يحتاج إلى عناية فائقة في التغذية حتى يصبح سوياً.

شعر بالارتباك .. نهض من مكانه بعد أن توقف عن مواصلة الحديث. وهنا توقف الطفل عن الركض بين المقاعد تأمل الواقف على المنصة.. انفجر باكياً ثم اندس خلف أحد المقاعد وتلاشى .

أصلح من وضع عقاله.. ثم ثنى أطراف غترته.. وعاد إلى الجلوس .

(آسف لتوقفي عن الحديث ـ ضاحكاً إنما أين وصلنا في النقاط ـ آمل أن يساعدني أحدكم ..)

ران الصمت.. لم تكن هناك إجابة فورية..

(آه .... آه ... تذكرت .. أن المرحلة التي قطعها الإنسان حتى وصل إلى وقتنا الراهن.. تجاربه فيها أكبر من الزمن .. أو استيعاب المساحة المكانية فلو تلفتنا يميناً.وشمالاً.)

صمت وأخذ يتلفت يميناً وشمالاً ولاحظ أثناء ذلك أن هناك بريقاً فوق الجدار الذي عن يمينه للقاعة.. أخذ يدقق لمعرفة كينونته .. أخذت تصغر فتحتا عينيه وتصلبت يده اليسرى فوق الأوراق بينما ارتفعت يديه اليمنى وهي تشير إلى مكان البريق الذي انفصل عن الجدار وأخذ يقترب ..

كانت عينين بشريتين مثلجتين. أخذت تتراقص فوق المقاعد وهديراً حاداً يملأ القاعة عند كل حركة تصدر منها. وفي وسط

القاعـة توقفـت العينـان عـن التجـوال.. وأخـذت ذرات مـن الغبـار تتكـون متقاطـرة مـن جميـع الاتجاهـات لتـبرز فتـاة جميلـة التقاسـيم في الثلاثـين مـن عمرهـا ترتـدي ثوبـاً أبيـض فضفاضـاً. وقـد ربطـت وسـطها بحـزام أسـود وأخـذت تتلـوى راقصـة.. ترسـم بأقدامهـا الحافيـة عـلى أرض القاعـة وبـين صفـوف الكـراسي خطـوات متناغمـة.. والهديـر يرتفـع بـين لحظـة وأخـرى.

وضـع رأسـه بـين كفيـه عـلى الطاولـة .. وأخـذ يتأملهـا في هـدوء .. وتخلـص مـن لحظـة المفاجـأة.

(أيها .. الأخوة..)

دفـن رأسـه في الأوراق التـي بـين يديـه.. ثـم غـير وضـع النظـارة .. عـلى أرنبـة أنفـه ..

(عندمـا احـترق.. هـذا الكـون.. بعـد وجـوده الأول .. حـل الطوفـان الـذي أنقـذ البشريـة مـن النهايـة المظلمـة).

رفـع رأسـه.. صـوّب نظـره إلى الموقـع الـذي ترقـص فيـه الفتـاة فلـم يجدهـا وخيـم الصمـت عـلى القاعـة.

(كان التكـون الجديـد .. الـذي معـه انطمسـت معـالم الحضـارات القديمـة.. لتكـون حضـارة جديـدة.. ومـن خـلال السـياق التطـوري مـا نحـن فيـه الآن .. إذ..).

هنـا ارتفـع صـوت سـيارة إسـعاف.. وهمهمـة أصـوات لا تميـز لنسـاء ورجـال وأطفـال.

ويرتفع بكاء وليد صغير. أخذ يتموج مع صوت منبه سيارة الإسعاف ويعلو على الأصوات المختلطة ويتجانس مع صوت مؤذن أخذ يردد... الله أكبر .. الله أكبر .. وواصل حديثه.

(إذ أن الإنسان لم يوفق في اختيار الطريق الحقيقي للانعتاق .. هنا كان التباين وكانت الحروب .. ومعها اندثرت أمم وثم قتل.. ثم قتل .. طفل في مهده .. طفل).

وانكب على الطاولة بقسوة الأمر الذي معه ارتطم جبينه باللاقط فانبثق الدم. مسح بكفه على جبينه وأخذ يتأمل بقعة الدم.. وأمسك بطرف غترته وبللها في الماء ثم أخذ قطعة ثلج من قسطل الماء ووضعها على مكان الجرح.

(أيها السادة.. لم يعد هناك مكان مقدس بعد أن استباح الإنسان ـ الآلي ـ كل شيء لم يعد في المعمورة مكان آمن.. إنهم يقتلون الزهور .. بأحذيتهم السوداء ذات الحدوة الحديدية .. يقول الشاعر .. الشاعر).

ويتحرك اللاقط الآخر المنصوب على الطاولة من مكانه في جلبة واضحة..

(هو يمشي والموت في خوانه.

عاثر الحظ بانتظار مماته.

شاحباً.

بائساً.

حزيناً كئيباً ...

واحتضار السرور في بسماته).

ويتوقف عن النطق .. فمه مفتوح .. كفه اليمنى مرفوعة إلى مستوى الرأس.. وعيناه شاخصتان في الفراغ وخط أرجواني اللون ينز من جبينه منداحاً على أنفه؛ وفمه المفتوح تخرج منه كلمات وحروف متناثرة أخذت تنداح نحو المقاعد كسيل لجب، أخذ يجرف ما في طريقه من أشجار .. وناس.. وحجارة في اتجاه غير محدد. ويرتفع تصفيق حاد.

أدلهم الظلام.. شمل القاعة هدوء غريب .. وارتفع وقع أقدام تسير.. أخذ الوقت يتلاشى وينبثق ضوء من سقف القاعة أخذ يتجول بين المقاعد ويبرز ظل إنسان طويل ويصل الضوء إلى المنصة. وإذا بالمحاضر يدفن رأسه بين يديه فوق الطاولة بشكل عادي كمن راح في.. سبات عميق..

علبة العلكة

ارتقت أحلامه سلم عدم المبالاة للوصول إلى سراديب العدم حتى تتمكن من حصر الرؤيا المبنية على ملاحظات زمن غابر استقر في قعر التاريخ لتحديد سمة الحالة التي عاشها منذ آلاف السنين. إذ علم رغم سنيه العشر أنهم يبحثون عنه. منذ أن تم تسجيل اسمه في سجل المواليد في دائرة الصحة التي بدورها قامت بإبلاغ وزارة الداخلية والسفارات في جميع أنحاء العالم بالوافد الجديد، الذي ظل يصرخ وحيدا منذ مشاهدته للضوء باحثاً في كواليس الزمن عن مكان يعود للاختباء فيه.

انطلقت صفارات الإنذار معلنا عن اقتحام طائرات العدو لأجواء بيروت الحالمة ذات الأشلاء المتناثرة من جراء اغتصاب مستمر من جهات مشبوهة لجسدها. المعلول الذي أنهكه إصرار القادم الجديد على أن يكون غذاؤه من ثديها فامتص مع الحليب الشرايين. والأوردة.

انطلق يعدو..! .

وعلبة ـ العلكة ـ التي قام بشرائها مؤخراً لم تزل ممتلئة.. إذ لم يهتم أحد بصراخه في الشوارع معلناً عنها. إنهم فقط يقرؤون الصحف إذ لم يعد لديهم وقت لمضغ العلكة.

انطلق يعدو..!

وحبـات العلكـة تتناثـر فـوق الرصيـف وأزيـز الطائـرات المغـيرة يقـترب بينـما قذائـف المدفعيـة المضـادة تـضيء الأجـواء تشـتعل حبات العلكـة اللامعـة كالثريـات فـوق الرصيـف الـذي أصبـح الآن مهجـوراً.

تلفت حوله..!

يبحـث عـن كلمـة مواسـاة في عـين حانيـة.. وإذا بالخـوف المطـل في الأهـداب المقـرورة يصفعـه بقسـوة ليعلـن استسـلامه لليـأس..

إنهم يقتلونه..

تخـلى عنـه الجميـع في ليلـة مشـابهة. انهالـت فيهـا القذائـف مـن كل صـوب وأخـذت الطائـرات المغـيرة تشـعل ليـل الشـتاء القـارص.. ثريـات.. ونـواح.. وأخـذ يتذكـر نتفـاً مـن أيـام عاشـها تسـلقت زمنـه المجـدب.. لقـد وجـد نفسـه وحيـداً بـين مجموعـة مـن الصبيـة الذيـن فقـدوا المقـدرة عـلى النطـق.. كان الوحيـد الـذي يتكلـم .. يـصرخ في الوجـوه بقسـوة.

أخـذ يتلفـت حولـه وانفلـت خارجـاً مـن المخبـأ بعـد أن لمـح الخـوف يقـف في وسـط المجموعـة المتكومـة بشـكل غريـب في ركـن قـصي مـن المخبـأ.

وقـف وحيـداً في ركـن منـزوٍ وصـل إليـه مـن خـلال محاولـة الجميع الوصـول إلى أقـصى مـكان في المخبـأ.. بعيـداً عـن المدخـل خوفـاً مـن الشظايا.

كان عـدم مبـالاة الجميـع بـه دافعـاً لمواصلـة السـير بهـدوء إلى المنفـذ حيـث يطـل بصيـص مـن الضـوء أخـذ مـن خلالـه يتفقـد علبـة العلكـة حاسـباً الحبـات الباقيـة ومقـدار خسـارته. فوجدهـا أقـل مـن النقـود التـي دفعهـا ثمنـاً للعلبـة.. أدخـل يديـه في جيوبـه فـإذا بهـا فارغـة.. شـعر بالفـراغ مـن جـراء ذلـك.. تجمـد فيـه كل شيء. تبلـد الإحسـاس في جسـمه فلـم يعـد يشـعر بقدميـه اللتـين أخذتـا تسـحبانه إلى المنفـذ.. وقـد التصقـت بظهـره عيـون الجميـع.. أخـذت تتابعـه بصمـت حتـى خـرج مـن الملجـأ انتصـب فـوق الرصيـف وأخـذ يلتقـط حبـات العلكـة المتناثـرة بهـدوء بعـد أن كـف عـن البـكاء لقـد كان الصمـت المطبـق حولـه وخلـو الشـارع مـن المـارة فرحـاً جديـداً تولـد في أعماقـه دفعـه إلى العـدو مرحـاً وهـو يلتقـط حبـات العلكـة مـن فـوق الرصيـف. كان فرحـه بـأن الأيـدي لم تمتـد لهـا فـوق الخـوف.. والغضـب المتناثـر حولـه. مـن خـلال مواصلـة الطائـرات المغـيرة تحديهـا للمدفعيـة المضـادة واقتحامهـا أسـوار المدينـة لخطـف الحيـاة مـن فـوق جبـاه غـير مباليـة بوجـود إنسـان.

انطلـق سـهم نـاري، تجـاوزه وهـو منحـن لأخـذ حبـة أخـرى مـن فـوق الرصيـف. وأخـذ يعـد الحبـات. إنهـا المـرة العـشرون التـي يحـاول حـصر مـا اسـتطاع جمعـه. لقـد تمكـن مـن تجـاوز رأس المـال الـذي دفعـه. وقـرر العـودة إلى المخبـأ..

عاودتـه الرغبـة في البـكاء مـن جديـد. وهنـا شـعر بالخـوف عندمـا وجـد الشـارع مهجـوراً.

وعويـل القنابـل مـن حولـه يـسرق الليـل صمتـه. فأخـذ يعـدو نحـو الملجـأ وإذا بسـهم نـاري آخـر يخـترق صـدره. أخـذ الـدم ينبثـق مـن جسـمه. وتهـاوى فـوق الرصيـف.. لكـن هـذه المـرة كان قـد خبـأ علبـة العلكـة في صـدره تحـت القميـص . خوفـاً مـن تناثرهـا مجـدداً حتـى لا يفقـد رأس المـال فيعـود للاسـتجداء مـن جديـد.

الانتماء

لم يلاحظ في بداية الأمر عندما التقى بها أنها تعيش في قمقم من الأوهام والخيالات العالية التي عصفت بها دون أن تدري حتى وصلت إلى هذه المرحلة .. التي غدت معها تحلم بأن كل من يقابلها سوف يكون فارس أحلامها رغم الاستعداد للمغالطة وحذف كل أرقام التاريخ من أجل إثبات معادلة غير مقنعة لدفع من تتحدث معه إلى الاستسلام والإيمان بواقعها ..

كانت (آمال) كبرى بنات الأسرة وإن كان ترتيبها الخامس بعد أربعة صبية لم تتوقع الأسرة قدومها، وإن كان الجميع يحلم بفتاة لزرع الدار ورداً ونعومة وكون صخب الأطفال الأربعة فاصلاً موسيقياً يلطف الجو ويزرع البهجة ..

اتخذ إبراهيم الفتى الغر المهاجر من الجنوب إلى الطائف التي كانت أول مدينة توقفت فيها السيارة التي ركب فيها خلسة في المساء مع مجموعة من الركاب الوافدين إلى موقف السيارات من قرى مختلفة وأوهم السائق بأنه قريب لأحدهم أخذ يبادله الحديث موطناً له وتقبل كل عمل يسند إليه محاولاً التنصل من انتمائه إلى تلك القرية الغارقة في التخلف والظلام وكون لنفسه اسماً جديداً أخذ المحيطون به يدعونه به حتى أن سيده الذي ارتاح له أشاع بأنه ابنه في كل مجلس وقرر ذات يوم أن يخرج له بطاقة من إدارة الجوازات تؤكد صحة بنوته ، فغدا لا يخشى شيئاً وأخذت حالته المادية والاجتماعية بفضل هذا الانتماء تتحسن ويكون لها وزنها في المجتمع الجديد الذي

عاشه بكل ما فيه من أهواء ، وتزوج إحدى ربيبات الأسرة ، فتاة يتيمة ، كل ما يعرف عنها أنها ابنة أخت سيده الذي فتح أمامه أبواب الحياة ، كانت السعادة طاغية وكل شي يسير على أجمل ما يكون .. وحلت (آمال) لتجد الجميع يتلقونها في لهفة وشوق أخذ يتلاشى مع وفود الابنة الثانية والثالثة حتى وصل عدد أشقائها وشقيقاتها إلى عشرة ، الأمر الذي لفت الأنظار بطموحهم وسعادتهم الوافرة خاصة وأنهم متقدمون في حياتهم الدراسية ومعاملتهم مع من حولهم بخلاف بقية أفراد الأسرة الكبيرة التي ينتمون إليها الأمر الذي خلق نوعاً من الهمس الخفي الغارق في الذاتية ، مما جعل أحد الأبناء الحقيقيين للسيد من خلال مناقشة والده في صحة انتماء إبراهيم إليهم .. وتوفي السيد دون أن يذكر شيئاً من الحقيقة وإذا بإبراهيم يفرض على الجميع وصايته بصفة المسئول الأول عن الأعمال التجارية والعمرانية فتفجر الموقف وأخذت الأسئلة التي كانت تدور في السر عن انتمائه للأسرة تطفو.. وواجهه الجميع بأنه لقيط ، الأمر الذي زرع الحزن في صدر زوجته وأبنائه ، فأخذ يتلفت حوله باحثاً عن مخرج حقيقي لهذه الوصمة ، إنه يريد العودة إلى أصوله ، لكن ذلك يفقده هذا الجاه وهذه الثروة .. وأيضاً يجعله في موقف لا يحسد عليه أمام القانون لتزويره هويته وانتحال اسم يختلف عن الحقيقة ، فتقوقع وأخذ يخفف من غلوائه ومواقفه الصلبة أمام أفراد الأسرة ، مما خلق في عيون أبنائه أسئلة عديدة تطالبه بكشف الحقيقة.

كانت آمال الابنة المدللة .. تفرض عليه أن يحدثها بكل شيء، ولكن كان يتهرب من الالتقاء بها رغم الحب الكبير الذي

يكنه لها بخلاف بقية الأبناء ، وذات ليلة عاد متأخراً إلى الدار ووجدها تجلس في غرفتها تبكي بحرقة كان يعرف سبب البكاء ، يعرف ما يدور بخلدها .. فاحتضنها وطلب منها أن تسامحه .. وأمام باب الغرفة همس ..

ـ آمال .. سوف أقول الحقيقة .. فليس في أبيك ما يعيب ، إنما سوف ترهقكم الأيام لا يزعجك غيابي ..

وغادر الدار من جديد ، عاد إبراهيم إلى قريته وأخذ يبحث فيها عن من يعرفه فالتقى بإخوته وأبيه وتعرف الجميع عليه وطلب عفوهم بعد أن وجد زوجة أبيه عجوزاً عمياء لا تستطيع الحراك في فراشها أخذت تمسح رأسه مطالبة إياه أن يعفو عن قسوتها .. وأخذ شهادة تثبت نسبه وحقيقة مولده وعاد إلى الطائف بعد أن أمضى أياماً شعر بحقيقة انتمائه ..

ما أن لمحت آمال والدها يغادر الدار حتى أسرعت إلى الباب الخارجي مطالبة إياه بالرجوع ، لكن كان قد ركب سيارته الفارهة وانطلق لا يلوي على شيء فأخذت تتأمل السيارة وهي تختفي غير مبالية بما حولها ، بينما كان (فهد) الفتى الذي شعرت بعاطفة قوية نحوه يقترب من الناحية الأخرى فطوقها بذراعيه مما أثار الرعب فيها، ولكن عندما تأكدت من شخصيته ألقت برأسها على كتفه وهي تردد .

ـ لقد رحل أبي .. لقد رحل ..

كانت كلمات فهد المهدئة تسري في جسمها برقة ونعومة وشعورها بأن والدها سوف يعود أعاد السكينة إلى فؤادها ولم

تـدر مـاذا حـدث ، لقـد كانـت اللحظـة عارمـة والهـدوء المطبـق عـلى كل شيء يسـاعدان عـلى أن يتـم العطـاء في أكمـل صـورة في لحظـة حـب نـادرة غـاب عنهـا عـين الرقيـب ..

هالـه المفاجـأة .. آمـال وهـي تعـود لواقعهـا وقـد غادرهـا فهـد فجـأة وصـوت المـؤذن يدعـو إلى صـلاة الفجـر، كانـت غرفتهـا تـروي كل مـا حـدث.. ملابسـها المتناثـرة .. في أرجائهـا تـدل عـلى بشـاعة مـا وقـع، فأجهشـت بالبـكاء وهـي تلملـم نفسـها والهـدوء المريـب يـزرع الشـك ..

وأطلـت مـن بـاب غرفتهـا تتأمـل الـدار فـإذا بوالدتهـا في وسـط صالـة الجلـوس فعـادت في هـدوء إلى غرفتهـا وأغلقـت البـاب لتغلـق عـلى كل مـا حـدث في أعماقهـا ..

كان للأيـام الثلاثـة التـي اختفـى فيهـا إبراهيـم عـن الأنظـار أثرهـا في الجميـع إذا انقطـع الأبنـاء جميعـاً عـن مدارسـهم وكلياتهـم في اليـوم الثـاني والثالـث ، للبحـث عـن والدهـم الـذي لم تسـأل عنـه آمـال بتلـك اللهفـة التـي ارتسـمت فـوق الجميـع ، كان في داخلـه شيء يقـول إنـه سـوف يعـود ولـن يتغيـب أكـثر مـن هـذه الأيـام فكانـت تصرفاتهـا هادئـة وأحاديثهـا مشـبعة بالأمـل رغـم أنهـا غـدت شـيئاً آخـر ، لا تـدري أن مـا هـو مشـكلتها هـي فعليهـا أن تحتفـظ بهـا لنفسـها .

عـاد إبراهيـم .. وقـدم في مجلـس جمـع أفـراد الأسرة أوراقـه متنـازلاً عـن كل شيء مـن أجـل خلـق الثقـة في نفـوس أبنائـه وأصالتـه ولم يلاحـظ في أثنـاء الحديـث تلـك الدمعـة التـي أخـذت تنـزل مـن مقلتـي آمـال تنسـاب عـلى خدهـا في هـدوء ، كان كبـيراً في موقفـه

وهـو يعلـن أنـه ابـن تلـك القريـة وأن أمانتـه وحسـن خلقـه جعـل السـيد الـذي يعمـل لديـه ينسـبه إليـه ويعتـبره أحـد أبنائـه ..

وغـادر إبراهيـم وأسرتـه البيـت الكبـير إلى منـزل متواضـع ليبـدأ مـن جديـد ، كانـت البدايـة قاسـية ولكـن خفـف منهـا وجـود اثنـين مـن أبنائـه في المرحلـة الجامعيـة الأخـيرة، ووجـود زوجـة قويـة العزيمـة أخـذت تعـوض مـن خـلال شـعورها بمسـئولية المرحلـة الجديـدة فزرعـت الـدار المتواضعـة حبـاً وتفانيـاً حتـى لا يشـعر الأبنـاء بالنقـص المفاجـئ في المـوارد الماليـة والمكانـة الاجتماعيـة ، وإن كانـت هـذه البـادرة مـن إبراهيـم قـد خلقـت الثقـة في عيـون مـن حولـه مجـداً وهـو الرجـل الـذي يتنـازل عـن كل شيء مـن أجـل إثبـات حقيقـة ليرفـع أبنـاؤه رؤوسـهم عاليـاً أمـام الآخريـن .. حـدث ذلـك منـذ عـشر سـنوات تخرجـت آمـال مـن الجامعـة واشـتغلت بمهنـة التدريـس وحلـت مـكان والدهـا ووالدتهـا في حيـاة أشـقائها فغـدت أمـاً وأبـاً لهـم غـير مباليـة بـكل مـا حولهـا ، حتـى مـن تقـدم لخطبتهـا وإذا بالأيـام تقـف في وجههـا مـن جديـد .. حيـث أصبحـت وحيـدة وتشـتت شـمل الأسرة في أرجـاء البـلاد مـن أجـل العيـش لتعيـش مـع شـقيقها الأصغـر الـذي لم يتـزوج بعـد .. شـاعرة بأنهـا عـبء عليـه، لكـن كيـف وهـي تلـك الـصرح الصامـد الـذي جعـل مـن حيـاة والدهـا نبراسـاً تسـير عليـه في كل خطـوة مذكـرة كل مـن تلتقـي بـه بأنهـا أقـوى مـن الزمـن ..

ـ آمال .. لقد أصبحت في الثامنة والثلاثين من عمرك .. ؟

ـ ماذا ..

لم تكـن تـدري بـأن الأيـام .. سـوف تسـجل كل شيء بالأرقـام رغـم

تناسيها .. سوف تكون بارزة فوق الأرصفة وفي كل ناحية ..

ـ ولكن هل تتزوجني ..

ـ ... ...

ـ إنني أبحث عن الزوج الذي يسعدني .. فأنا .. ؟

وأخذت تتحدث في مكابرة عن آمالها وطموحاتها واستعدادها لأن تضحي وتقدم ولكن لتقول.. وفر أحمد .. ابتعد .. إنه لا يستطيع تقديم سعادته على طبق أبيض من أجل أن يعيش سعادة أخرى واختفى مكتفياً بأن يتابع من بعيد حياتها من أجل معرفة النهاية..

وذات ليلة وهو بين مجموعة من الأصدقاء يلعب الورق إذا بأحدهم يدخل ويحيي الجميع، إنه يعرفه، لكنه لا يتذكر من يكون..

ـ إنني أدعوكم غداً لحفل زفاف شقيقتي .. آمال ..

ألقى أحمد بالأوراق التي بين يديه وأخذ يتأمل الداعي والذي لم يجد لنفسه مقعداً يجلس فيه ، وتذكره إنه الشقيق الأصغر لآمال ، والذي حاول ذات يوم التعرف عليه ولكن منعته لأنها تخشى على سمعتها وأن يزرع الشك في نفسه صوراً أخرى عنها إذا تم التعارف من خلالها ..

ونهض أحمد من مكانه ودعاه إلى الجلوس .. واستأذن من الجميع ليركب سيارته وغادر المدينة قاصداً مقهى اعتاد الهرب إليه عندما يشعر أنه بحاجة إلى الجلوس مع نفسه..

الزرقاء تخدع نظرها

الضباب يلف المدينة .. وموجة البرد المفاجئة خلقت شيئاً من الهلع في القلوب فهجرت الأقدام الشوارع وانزوى كل واحد في داره أمام المدفأة يتابع في سأم وملل برامج التلفزيون منفساً عن ما في أعماقه من غضب بالصراخ في وجه أطفاله .. ومجالسيه كأن لا شيء يعنيه من كل ما حوله سوى الهدوء .. الساعة تشير إلى الحادية عشرة مساءً وأنين ماكينة خلط الإسمنت المزروعة في الشارع يصم الآذان حيث مدد العمال المكلفين بتجديد سور المقبرة المتهدم إنهاء المهمة المنوطة بهم هذه الليلة بعد أن طال العمل وتجاوز الوقت المحدد له .

وقف إبراهيم أمام الباب الخارجي يتأمل ما حوله محاولاً تحديد شيء من خلال أفكاره المشتتة ليقوم بتنفيذه .. إنهم يسرقون من عينيه النوم .. إنهم قتلة مرتزقة .. هناك جهات مأجورة تقدم لهم كل شيء .. لقد فوجئ بأن لديهم معدات وأشياء فوق كل تصور وخيال .. وهو خال الوفاض ..

ـ لقد صرفت الشيك ..

ـ ولماذا لم تقل عندما صرفته .. ؟

ـ قريباً صرفته ..

وتذكر كل الأحداث .. كان الشريط يمر في هدوء معلناً عن نفسه .. لم يكن يحتاج إلى عنوان ..

كان ذلك منذ مليون عام عندما دعاه مديره في الدائرة وصرخ فيه:

لماذا .. ساعدت محمودا .

ـ لأنه إنسان يستحق ذلك ..

ـ وهل أخذت الضمانات .. ؟

كانت مفاجأة له .. لقد عرض كل شيء .. ومرت الأزمة بسلام حيث أخذ يضحك من سذاجة الآخرين .. من لا هم لهم سوى اللهو .. وتعقب أعمال الآخرين بالنقد والذم ..

وحدثت حادثة أخرى كان منطلقها وفاة موظف صغير ذي عائلة كبيرة .. لقي في طيبة من حوله فرصة .. شعر فيها أنه سيد الموقف .

أخذ إبراهيم يتأمل .. والعمال الصوماليون يقومون بعملهم في رتابة وصمت بخلاف بقية العمال الآخرين الذين لا ينشطون في تأدية أعمالهم إلا من خلال الغناء والصراخ على بعض للحث على الإسراع ..

إنهم صورة لذلك المسكين الذي وقع فوقه ذات صباح دولابان من دواليب الكتب وارتطم رأسه بالإسفلت .. وعندما حمل رفاقه عنه الدواليب نهض مغمضاً عينيه يمسك برأسه وهو صامت لم يتفوه بكلمة .. ولم يقم بسبب زملائه في العمل حيث أهملوا أصول السلامة وكاد يذهب ضحية الموقف .

شعر إبراهيم أنه في حاجة إلى أن يستنشق الهواء بعيداً عن

نواحي المكينة الملعونة .. فاتجه إلى سيارته بعيداً يملؤه حزن غريب كان يردد بين لحظة وأخرى ..

ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. لا حول ولا قوة إلا بالله ..

وسرعان ما وجد إبراهيم شيئاً من ذاته المزقة .. حيث عجز منذ زمن بعيد عن سبر غورها وأخذ يرسم الأسئلة التي يبحث لها عن جواب ..

ولمح مقهى صغيراً على جانب الطريق .. فأخذ يهدئ من سرعة السيارة واقترب من باب المقهى حيث أوقف السيارة على بعد خطوات منه وولج المقهى الذي لم يكن به أحد وأخذ يتلفت حوله محاولاً بعث الدفء في أطرافه المثلجة ..

ـ أمرك يا عمي ..

وقفز من مكانه كمن لدغته عقرب وأخذ يبحث عن مصدر الصوت ووجده ، كان مختبئاً بين كومة من البطانيات والأغطية ..

ـ أريد براد شاي .. وتعميره.

مر الوقت ثقيلاً وهو يحاول الخروج من الأسئلة التي أخذت تتوارد في خاطره بنتيجة..

ـ إنهم يقتلون العصافير .. كل يوم ..

ـ أين .. ؟

ـ في الناحية الشمالية من الوادي ..

ـ المسئولون.. ؟

ـ إنه مكان بعيد عن الأنظار لا يعرفه غير أهل الديرة ..

ـ ما فيه عقال فيكم .. ؟

ـ فيه ..

ـ وماذا يعملون .. ؟

ـ يشاركون في القتل بكل لذة .. إنهم يمتدحون لحم العصافير المشوية .. على نار تلتهم أغصان الأشجار التي يجب أن نحافظ عليها..

وضحك .. لقد عرف كل شيء عن ما يقلقه ودفعه إلى الخروج في هذه الساعة المتأخرة من الليل من داره .. ليبحث لقلقه عن سبب حتى يهدأ ..

مد يده بالأجرة لصاحب المقهى شاكراً إياه على ما قدمه له من خدمة .. وانطلق عائداً إلى المدينة .. التي استقبلته أنوارها كعروس تزف إلى عريسها .. لكن عادت الهواجس والأحاسيس التي كبتته .. إنه ذو شخصية منفصمة لا يعرف كنهها تقبع في أعماقه ويخاف أن يتعرف عليها .. عندما تعود إلى الطفو.. من جديد .. ومع ذلك استمر في الدخول .. وتقصر المسافة بينه وبين الدار ..

أوراق من مذكرات فتاة فلسطينية

(١)

وأنصت .. نعم اليوم اقترب والجموع تعد العدة، فالدعوة مفتوحة للجميع، كل شيء ممهد، وخط طويل يسيطر على الجميع.. المناكب تلتقي ، والمقل شارقة بالدموع، بالأمل ، بالنهاية السعيدة .. كل ذلك منذ عام ..

وها هو يمر بنا عام ..

والجوع ينهش صدري .. يمزق أحشائي بعد أن أعياني الانتظار ، بعد ان وجدت دارنا تبتعد .. تسبق الشمس الغاربة .. يبتلعها مد البحر العاتي .. فإذا بي أعود إلى خيمتي، وقد لفت انتباهي مجموعة من صبيان المخيم يتهامسون، ثم ينطلق كل في طريق وتبتلعهم الزوايا.. وتمر الدقائق، وإذا بحركة غريبة ومجموعة من الرجال يقتربون يحملون شيئاً.. كان ابن جارتنا العمياء، وقد فارقته الحياة، وبسمة لونها الألم فوق فمه الصغير..

خط طويل يسيطر على الجميع، خط من الدم يقبل الثرى، يشير إلى دارنا القديمة، إلى قريتنا الخربة في أرضنا المسلوبة..

(٢)

مـاذا يعنـي كل هـذا ؟ الطبـل تقـرع ، تصـم الآذان ، تكـون شـلالاً مـن الضجيـج ، وأنـا مـا زلـت واقفـة أمـام بـاب خيمتنـا ، أسـتجدي المـارة .. أخـي الصغـير (ضـاع) ، كان هنـا في الصبـاح يلعـب بدميتـه القديمـة ، يـصرخ في بائـع البرتقـال الفتـي ..

ـ لماذا لا تنضم إلى الفدائيين ؟

لمـاذا .. لا تـترك عربتـك المتداعيـة هـذه جانبـاً.. ؟ وهـا هـو يطالعني .. بائـع البرتقال..

ـ أخي .. هل رأيت أخي ؟ ..

وألقـى الفـراغ في عينيـه .. لم ألـق غـير الصمـت الرهيـب .. لقـد عـاد آخـر الليـل طفـلاً محمـولاً أخـذه الرجـال إلى البعيـد .. إلى سـفح الجبـل ، الـذي يحجـب عنـا الريـاح ، ينتظـم في سـلك الشـهداء مـن رجـال الفـداء ..

كان صبحـي قـد تخطـى الأسـلاك الشـائكة فـإذا بقميصـه يعرقـل خطـاه وتخـترق صـدره رصاصـة الغـدر والخسـة والنذالة.والإجـرام. ..

(٣)

إنـه اليـوم الألـف بـل المليـون .. وأنـا أشـعر بسـاقي لا تطيقـان حمـلي.. أمـي الربـو يكتـم أنفاسـها.. أبي كالمجنـون في ركـن خيمتنـا، يهمهـم بكلـمات لا تفهـم.. (سـماح) تبتسـم للجميـع، إنهـا طفلـة لا تفهـم.. وبطاقـة المـؤن الصفـراء يـأكل أطرافهـا القـدم .. وهـم

يعـصرني أن في أحشـائي جنينـاً .. تـرى .. ؟ أيشـاهد أبـاه.. ؟ مـاذا أقـول لـه عندمـا يكـبر ؟ عندمـا يقـول أيـن أبي ..

هـل أقـول استشـهد عـن طريـق العـودة ؟ أم أقـول لـه ذهـب ولم يعـد ، ولكـن هنـاك سـؤالاً قـد يواجهنـي بـه ؟

أهـو ذهـب لوحـده، أهـز رأسي بـلا إيجـاب، أيصـدق أن أبـاه ذهـب لوحـده ليمهـد طريـق العـودة.. ليـصرخ في اليهـود هـذه أرضي.. اخرجـوا منهـا، أترثوننـي ؟ أتأخـذون حقـا ابنـي.. ؟ غريبـة كل شيء أم تـراه سـوف يجـف حلقـه ويكتـم أنفاسـه انتظـاري الطويـل في طابـور دقيـق السـوس.. ؟

(٤)

جارتنـا (سـلوى) لم تعـد مسـاء أمـس مـن صنبـور الميـاه ، أمهـا تبـكي بحرقـة ، وكادت تزيـد آلامنـا إذ همّـت بإحـراق الخيمـة ، ولكـن لحقـت بهـا وأمسـكت بيدهـا المرتعشـة ، واغتصبـت علبـة الثقـاب مـن بـين أنينهـا ، لا حـق لي في اسـتعمال قـوتي وشـبابي عـلى امـرأة شرب الدهـر مـن دموعهـا ، أكل جسـمها حتـى بـدت الغصـون ترسـم ظلـم القـدر ..

مـرَّ يـوم وسـلوى مـا تـزال مفقـودة وأنـا أشـعر بوحـدة.. أبي أخـذ هذيانـه يـزداد ، بـل فقـد إحساسـه فـكان ينـام .. وسـماح تتوسـد صـدره ..

مـاذا بقـي لي غـير أن الغثيـان يدفعنـي إلى القيء وأحشـائي تسـبقني في كل ناحية..

الليل ساعاته طويلة.. آه ما هذا الألم.. ؟

(٥)

عـدت إلى رشـدي .. طالعتنـي مقلتـي أبي الدامعتـين، وبسـمة واهيـة تـرف عـلى حاجبيـه.. أشـعر بـشيء غريـب حـولي .. وإذا بالـصراخ يصدمنـي ، لقـد وضعـت البارحـة .. ولكـن هـذا الظـل الطويـل الـذي ينتصـب عـلى بـاب خيمتنـا أني أعرفـه.. الفرحـة تأخـذ بمجامعـي .. الدمـوع تسـبقني .. وتقـدم نحـوي عاقـداً زنديـه عـلى صـدره يحمـل لفافـة بيضـاء .. كان زوجـي (منصـور) وبريـق الفـرح يطـل مـن مقلتيـه .. وتلاقـت العيـون في عنـاق طويـل .. قـرب طفـلي منـي ..

ـ قبليه ..

إنـه عـودة .. نعـم سـوف يكمـل طريـق العـودة .. إن استشـهدت اعتنـي بـه، أعديـه لليـوم المرتقـب.. ازرعـي في صـدره خنجـراً يصرع الأعـداء القادمـين مـن وراء البحـار النتنـة.

(٦)

اليـوم معركـة مـن الصبـاح ، الحشـود عـلى الحـدود ، الطائـرات تلقـي بمنشـورات تدعـو المواطنـين إلى الهـدوء ، والتمسـك بالسـكينة ، لكـن مـا هـي السـكينة ؟ وأي شيء بقـي لنـا بعـد أن فقدنـا بياراتنا .. دارنـا المعلـق فـوق الجبـل الأشـم ؟ طفـلي (عـوده) أخذ يبتسـم لي ، يبحـث بـين الوجـوه عنـي .. لقـد غابـت عينـاي وبـرزت نواجـذي .. لا خـبر عـن منصـور .. الطلقـات تحملهـا الريـاح مـن وراء الجبـل .. غارة.غـارة. .. السـماء سـوداء.. الطائـرات تلقـي بالحمـم.

رحماك يا رب إنني بائسة . إلهي لا شيء بيدي.. وأمسك بيد سماح .. أحمل عودة .. أجري وراء أبي الأعمى، لقد سلب البكاء من عينيه النظر.. الصراخ يرتفع إلهي أين أبي؟ ..

ونعود نبحث بين الرماد عن البقايا.. وينطلق المذياع المجنون .. لقد قام الجيش الباسل بحملة تأديبية على أوكار المخربين وتم القبض على مجموعة يرأسها المدعو محمود الشيخ عرب .. يا للمجرمين .. إنه أبي الأعمى المتداعي .. إنه جد (عودة) .

(٧)

الجوع ينهشني .. لم يبق في مقلتي دمعة وأنا أودع - عودة - عند باب ملجأ الأيتام، سوف تنسيني الأيام والهموم والمتاعب التفكير فيه.. غداً ترحل المجموعة الأولى من النساء إلى الشمال إلى مخيم جديد نصبته الأمم مؤخراً بالتعاون مع الصليب الأحمر .. والحكومة رشفت آخر جرعة من ماء النبع الذي يوازي مخيمنا المحترق .. إني أشاهد ظلاً كبيراً يقترب .. الظلال تلف الجميع .. المطر ينهمر، إلهي ما كل هذا ؟ أطلقت صفارة الإنذار .. أظن خطأ .. ما سمعنا ليس سوى لغم أرضي أعده الفدائيون.. إنه بقايا لغم من عام ٤٧، لا من ألغام ٦٧ الجادة الحاقدة التي تزرع الموت في كل زاوية.. ارتجت له الديار الفلسطينية .. سمع صداه المغرب العربي ، ثارت لأجله أمواج الخليج العربي ..

وشعرت بالجوع .. وأنا أتلفح بثوبي البالي لأسير وحيدة في الطريق الطويل وقطرات من الدم تدلني طريقي.. إنها الزهرات التي خلفتها قطرات دم أخي ذات مساء ..

(٨)

الحقـد.. الحقـد يـزرع صـدري شـوكاً .. يدفعنـي إلى التقلـب كل مسـاء في فـراشي البـالي، لقـد كانـت رحلتنـا طويلـة.. وكان حظـي أن تضمنـي خيمـة عجـوز وابنهـا المريـض الـذي يجهـش كل لحظـة بالبـكاء لفقـد المقـدرة عـلى المشـاركة في الجهـاد المقـدس في سـبيل الوطـن..

كان يبـكي وأنـا أنصـت لبكائـه المـرّ، ثـم أواسـيه وأنـا أزرع الأمـل في صـدره، لكـن يـده تبـدو كأنهـا وحـش أسـود معروفـة متصلبـة الأصابـع.. ألمحهـا كل دقيقـة في منامـي، وأتخيـل منصـور وهـو يبـكي حالـه.. وفي لحظـة غفـوت سرقنـي شـعوري ، شـعرت باختنـاق ، شـعرت بأننـي أقـترب مـن هاويـة ، والهاويـة تبتلعنـي عـلى الرغـم مـن مقاومتـي ، وأصرخ .. وأصرخ .. وإذا بيـد حنونـة تهـزني..

ـ ماذا جرى يا بنتي.. ؟

وتملكنـي تفكـير عميـق: مـاذا يعنـي هـذا.. لعلـه خـير .. وكان البصيـص الأخـير .. كان البيـان السـابع عـشر يـرثي منصـور.. ويصـف الموقـف البطـولي الـذي عاشـه أبـو عـودة وهـو يحمـي ظهـر رفاقـه المنسـحبين ويـده عـلى زنـاد رشاشـه يحصـد العـدو ، لكـن طائـرات الهليكوبـتر لم تمهلـه .. ألقـت بحممهـا فوقـه فانكفـأ عـلى وجهـه يقبـل الـثرى الحبيـب ، يسـقي عـرق البرتقـال .. بـدم عـربي جديـد استشـهد ..

(٩)

الحقد يلف خطاي .. يستأثر بلحظاتي ، والدموع تضيع معالم طريقي ، لم يبق لي أحد، العجوز تدعوني بابنتها ، تسألني لماذا تخليت عن عودة .. تسألني عن طريقه حتى تحضره إلى خيمتنا .. وأنا أبكي رسمت لها الطريق ..

ـ أتتركين ابنك من أجل ابني .. ؟

وتغلق فمي بيدها بينما تشير بيدها الثانية على ابنها .. وفهمت مرادها وأنا أقبل رأسها أدعو لها بالسلامة .. مرت لحظات رهيبة وأنا أقف على باب الخيمة أسأل السماء عن سبب الوجوم الذي يسربلني، يرسم الحيرة في حركاتي وتطلعي بلهفة لنهاية كل صرخة تصدر من المخيم.. فهذه أم تبكي ابنها الذي مات فجأة ، وهذه ثاكلة تندب زوجها .. بينما مذياع شاذ يحاول أن يسيطر على الجو الحزين بأغنية راقصة .. تقطر بالضياع والحب والهيام الماجن .. كي تكمل بقية نشرات الأخبار فتؤبن الفدائيين المجندين فوق الربا المكشوفة .. وإذا بي أبكي وأجد أن همومي تنقشع وأنا أسمع تنهيدة مكلومة تصدر من صدر مريض .. وهو يحاول النهوض .. لكنه يعود للبكاء وتلتقي دموعنا ..

المنحوسة

وتذكرة السفر إلى القدس

وتلفتُّ حولي ، أبحث فيهم عن شيء غير الصورة التي شدت بصري ، من أول خطوة خطوتها داخل المعسكر ، وتناثرت أسئلتي على الأرصفة المغبرة تسأل المارة عن حقيقة ما أشاهد . كان يطل من عيون الجميع الجوع واللهفة .. الخشية ومسامير الترقب تملأ الأحداق دماً ..

أخذت أبحث عنهم، كان كل همي أن ألتقي بأكبر مجموعة من الصبيان أسألهم هل يحبون الحرب، وماذا يتمنى كل واحد منهم. سيفاً أم بندقية. أم دبابة. أم وردة وقلماً وقرطاساً..؟

أخذ أحدهم يبكي وهو يستمع كلماتي.. سألته العجوز الواقفة ..

ـ لماذا .. ؟

ـ ألا تعلمين ؟ إن الطائرات كانت هنا .. ولم يبق من أسرته أحد..

ـ الطائرات كانت هنا .. ؟

ـ أجل أنت لست صحيفة .. كيف نحن سكان الخيام المحتاجين لقطعة رغيف ، نعلم ، وأنت لا تدرين ، رغم وجود الراديو معك وباستطاعتك اقتناء الصحف والمجلات ..

ـ آسفة يا سيدتي..

ـ وماذا يفيد الأسف ، أنت آسفة لأنك لا تهتمين بالآخرين لكن ماذا يجري مع الآخرين أولئك الذين لا همَّ لهم سوى إبادتنا نحن ، هربت وحيدة ، طوحني الهواء ، أخذ يدفعني هنا وهناك حتى وصلت إلى الجسر .. كنت أتلفت حولي أبحث عن رفيق أو مؤنس للطريق لأني أخشى غدر شيخوختي ، كان الجميع هناك .. ينتظرون .. يمضغون اللبان .. ويتعارفون رغم أن فوهات البنادق مصوبة إلى صدورهم، وببسمة الأطفال المتعلقين بأكتاف آبائهم وأمهاتهم، حاولت أن أبكي، ولكن دموعي التي شاركتني الطريق استعصت عليّ هذه المرة لا أدري لماذا.. لكن عرفت أخيراً أنها الكبرياء .. كنت أتحدى تلك البنادق والفوهات المصوبة . تلك الأحذية القذرة التي تتحكم في مصير هذا الكوم من البشر الفارين من ديارهم . كلنا نبحث عن خيمة . وسعيد الحظ من كان أحد أفراد أسرته يعمل في الكويت أو السعودية أو ليبيا أو حتى في البرازيل .

وانسحبت العجوز قبل أن أعرف شيئاً عن الطفل الباكي، وأخذت أتأمل قصتها. مصيرها أنها وحيدة وهذا الطفل وحيد. وتخلصت من المتكومين حولي ، وأخذت أسير على غير هدى أتحدث مع نفسي . نسيت آلة التصوير والقلم والأوراق .. أصبح رأسي مسجلاً يسجل كل شيء حتى صراخ الأطفال .. حديث السيدات على الأرصفة ومن النوافذ المتهرئة ، والرجال المتكومون أمام الأبواب حول راديو صغير . الريح القاسية . البرد القارس ..

كنت أحاول شيئاً لم أستطع حتى هذه اللحظة معرفته وفجأة قفزت الصورة أمام ناظري. كانت العجوز تتكلم مع الصبي أمام صنبور الماء وهي تغسل وجهه وتقبل جبينه ثم تشده من يده وتواصل طريقها جاذبة الجمع المتكوم حول صنبور الماء .. كان الخرير الناعس يفرض هيبته على الموقف ..

ـ إنها منحوسة ..

ـ من .. ؟

ـ هذه العجوز. إن نحسها سوف يلاحق الصبي . كل المجموعة التي حضرت معها ماتوا وبقيت هي. وذلك الصبي يجب انتزاعه منها قبل أن تأتي الطائرات..

لا أدري أي شيء هذا ولكنني وجدت هذه القصاصة أمامي فاغرة فاها تمد لي يدها لانتزاعها من على الطريق.. إنها صورة من الصور المفروضة على أمتنا والتي يريد العالم تكرارها، ويجد العالم فيها شيئاً ما لإزجاء الوقت. أنتم يا شباب العالم فكاهة (...)؟ كانوا يتسكعون على الأرصفة .. وتحت ظلال المسجد الأقصى.. وكل ما عليكم هو شراء تذكرة سفر إلى القدس إلى أورشليم.. لمشاهدة بعلبك، ومدائن صالح..

فحضارة الغرب تتسكع هنا .. والمنارات لا زالت قائمة ممشوقة في عنان السماء.. بصقت العجوز بمرارة وهي تجرجر الصغير وراءها ..

ـ إني تعب يا جدتي ؟ ..

قـال ذلـك وهـو يرفـع عينـين خطـف الرعـب بريقهـما. وهـمَّ أن يقـول شـيئاً مـا، لكنهـا صدمتـه بصمتهـا، فلـم يقـل شـيئاً وأخـذ يجرجـر خطـاه وراءهـا.

كانـت الغيـوم تتلبـد في السـماء بينـما هبـت نسـمة تحمـل رائحـة الأرض الطيبـة . كانـت خطواتهـما واضحـة عـلى الأرض وابتعـدا رويـداً رويـداً ، وسرعـان مـا ابتلعهـم المعسـكر ..

رحيل

المكان الدور الأرضي من منزل يتكون من درين في حي الشرقية بالطائف، كل دور شقة مستقلة الدور الأرضي تسكنه أمي مع وجودي المتقطع؛ وتسكن الدور الأول أختي المتزوجة لتتمكن من رعايتها.

الزمن بعد مغرب اليوم الرابع على وفاة والدتي (خالتي شقيقة أمي / ابنتها المتحجبة / أختي / أنا) في صالة الجلوس، نتبادل الحديث والعاملة الأفريقية تتحرك لخدمتنا متنقلة بين المطبخ والصالة.

مع ارتفاع أذان العشاء اتجهت إلى غرفتي مختليا (لا أعرف بالتحديد ما الذي أريد) وجلست على طرف الفراش اقلب أرقام ورسائل هاتفي النقال؛ لم اهتم بنداء إقامة الصلاة ولم أسعى إلى اللحاق بالصلاة وصوت المؤذن يقرأ الفاتحة.

لما شعرت بالهدوء وتزايد العتمة في جنبات الغرفة حيث أموت ببطء، تخيلت إن احدهم يفتح الباب وخيط من النور يتسلل عبر الفرجة التي شكلت مساحتها وساوسي، وقفت (باحثا عن المكان الذي يمكنني من الاختباء فيه) أترقب من يدفع الباب ويقتحم الغرفة فلم يحدث شيء.

غادرت الغرفة ولم اهتم بإغلاق الباب، وفي الصالة كانت خالتي تتأمل بوجوم شاشة التلفزيون المغلق؛ جلست بجوارها

محتضنا كفها بكفي وتسللت رائحة دهن العود الذي تحرص على التعطر به إلى انفي؛ جسدها الناحل أثار حزني فقمت وقبلت رأسها ابتسمت وطلبت مني وهي تتمدد على أريكة والدتي تغطيتها بالبطانية، جلست على المقعد المقابل أراقبها.

دخلت المطبخ كانت ابنة خالتي تجلس على احد كرسي طاولة الأكل وعلى كرسي آخر العاملة يتبادلن الحديث؛ لم تكن ترتدي شال الرأس وقد تمدد الشال وغطاء الوجه على الطاولة، حدقت في ثم انفرج وجهها عن ابتسامة وإذا بثلاثتنا نضحك بصوت مسموع وجلست على كرسي ملاصق لكرسها.

تجاوزنا لحظة الضحك (لكنما الأحلام كانت تنسج خيط) وتبادلنا الحديث عرفت إنها وأمها في رحلة الطيران المقررة العاشرة صباحا سوف تعود ووالدتها للرياض، واختفت العاملة بعد تلبية طلبي لقنينة ماء من البرادة رن جرس هاتفي كان احدهم يؤكد لقاء الواحدة بعد الظهر في جدة.

وقفت لمغادرة المطبخ شعرت بشيء يطلب مني اللحاق بها دخلنا الصالة أنفاس أمها النائمة، تقرب خطواتنا تتقارب تجاوزنا شغب التفكير (فقدت تعداد السنين التي قضيتها في الظلام) ويختلط العطاء ينسكب ماء الروح في غابة السكون؛ مع ارتفاع أذان الفجر تركتها نائمة في الفراش مغادرا الدار، وأنا على وشك إنهاء طريق الهدى جاء صوت أختي تسأل عني.&

٢٥ – ٥ – ١٤٣٩

مواطن

لم أتوقع هذا السؤال وأنا أقف أمام الموظف أشكو ارتفاع قيمة استهلاك الماء؛ التي تجاوزت الخيال « هل أنت مواطن « ثوبي الأبيض وطاقيتي المخرمة وغترتي البيضاء ولهجتي التي فيها بقايا مدينة الطائف؛ التي هجرتها في منتصف العقد السادس من العمر لم تشفع لي عند الموظف الذي « طالب بالسداد « ثم تقديم الشكوى.

شعرت فجأة بحاجة مؤلمة ليد تسندني، فانسحبت بصمت وعند الباب الخارجي لمكتب شركة المياه أنقذني الرصيف، جلست على طرفه المترب أتأمل الشارع والسيارات العابرة وظل يلاحق أجساد مارة من عوالم أخرى، البعض يحدق في والبعض يلوح بكفه.

لماذا « أنا» كلمة واحدة دفعتني إلى التفكير في اختيار نفسي؛ وان كنت ألاحق أفكار تنهش ما تبقى من العمر، جعلتني فريسة سهلة للمرض الذي هربت منه في العقود الخمسة الماضية من حياتي؛ التي كيفتها حسب الحلم الذي أعيشه بعبث وعدم مبالاة عبر أني موجود.

عبر أسرار أنا اخلقها، وامنحها الحياة لتكون حكاية أسردها على لأصدقاء في المقهى، مع دخان الشيشة وعلبة السفن آب وأكواب الشاي وهدوء الحوار وصخبه، وحالة الصمت الذي

يفرضه علي طيف « نجوى « المتراقص بين مربعات فناء المقهى وهو يبخل علي بسبب رحيلها المفاجئ؛ وقد سمحت لي بعد أن عرفت إن إحدى هواياتي التصوير الفوتوغرافي بالتقاط صورة لها ذات ظهيرة.

تذكرت أني تركت هاتفي النقال عند موظف الحسابات؛ الذي آخذه مني حتى يتأكد من صحة اعتراضي، ويعرف متى وصلتني رسالة شركة المياه وقارن المبلغ المبالغ فيه؛ برسائل سابقة كانت خمسة عشر ريال وقفزت إلى مائة وعشرين واليوم ألف وسبعمائة ريال لشهر واحد، وأنا انهض جاء صوته الذي اعرف « السلام عليكم « كان احمد رفيق المقهى.

رافقني إلى الشباك الذي توقعت إني نسيت هاتفي عند الموظف الذي يجلس خلفه، موظف يرد العبارات كما ببغاء منزلية تردد سباب زوجين أنهكهم الهدوء المحيط بهم؛ وخلو الدار من الأبناء وعاملة منزلية فضلت إنهاء مهامها، إذا الجميع أمام شاشة التلفزيون يلاحقون أحداث مسلسل يتابعونه.

وأنا ادخل المفتاح في قفل باب المنزل؛ لم أجد سيارتي في موقفها المعتاد؛ وقفت في فتحت الباب قلقا لرين جرس الهاتف، كانت زوجتي تقول إنها تنتظرني بمركز الحي الطبي وتذكرت أني أوصلتها، وقمت بمراجعة مكتب شركة المياه ومن هناك أوصلني احمد للمنزل بعدما اشترك في الحوار مع الموظف واستعاد هاتفي.

*** الأديب القاص / محمد المنصور الشقحاء (محمد الشقحاء)**

* من مواليد مدينة الرياض عام ١٣٦٦ الموافق ١٩٤٧م

* درس الابتدائية والمتوسطة والثانوية بمدينة الطائف

* التحق بالوظيفة الحكومية بالبرق والبريد بمدينة الرياض عام ١٣٨٦ وانتقل عام ١٣٨٨ إلى إدارة التعليم بالطائف وفي عام ١٤٢١ انتقل إلى مكتب وزير المعارف (وزارة التربية والتعليم) بالرياض حتى تقاعده عام ١٤٢٦

* شارك في تأسيس نادي الطائف الأدبي عام ١٣٩٥ واختاره الأعضاء المؤسسون عضوا في مجلس الإدارة آمينا للسر (سكرتير) عام ١٣٩٥ وفي عام ١٤٠٠ عقد الاجتماع الأول لجمعية نادي الطائف الأدبي العمومية وانتخب عضوا في مجلس الإدارة للمرة الثانية آمينا للسر. واستقال من المجلس عام ١٤١٦

* أصدر عدد من المجموعات القصصية أولها مجموعة البحث عن ابتسامة عام ١٩٧٦ - ١٣٩٦

* اصدر ثلاثة دواوين شعرية أولها ديوان معاناة عام ١٩٧٧-١٣٩٧

* اصدر عدد من الكتب النثرية تضم بعض المقالات والدراسات الأدبية والشأن العام

* شارك مع الأستاذ محمد سعيد كمال في تحقيق كتاب تحفة اللطائف في فضائل ابن عباس ووج الطائف لابن فهد عام ١٤٠٣

* شارك كعضو في اللجنة العليا للتشيط السياحي بمدينة الطائف

* كـرم في منتـدى الأثنينيـة الـذي يرعـاه الشـيخ عبـد المقصـود خوجـه عـام ١٤٢٤ (النـدوة ٢٦٠)

* وكـرم في ملتقـى القصـة القصـيرة والقصـة القصـيرة جـدا بنـادي القصيـم الأدبي عـام ١٤٢٩.

* وحصـل عـلى عـدد مـن شـهادات التكريـم والـدروع مـن مؤسسـات ثقافيـة حكوميـة وأهليـة.

المجموعات القصصية المطبوعة للقاص

البحث عن ابتسامة (قصص قصيرة) ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م مطبوعات نادي الطائف الأدبي

ط٢ ١٩٨٥ م الدار السعودية للطباعة والنشر بجده

حكا١٩٨٥م الدار (قصص قصيرة) ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م مطبوعات نادي الطائف الأدبي ط٢ ١٩٨٥م الدار السعودية للطباعة والنشر بجد ٥

مساء يوم في آذار (قصص قصيرة) ١٤٠١هـ ١٩٨١م مطبوعات إدارة النشر بشركة تهامة

انتظار الرحلة الملغاة (قصص قصيرة) ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م صدر عن نادي القصة السعودي

الزهور الصفراء (قصص قصيرة) ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م مطبوعات نادي الطائف الأدبي

قالت أنها قادمة (قصص قصيرة) ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م صدر عن الدار السعودية للنشر والتوزيع

مقاطع من أوراق عاشق (شعر) ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م صدر عن الدار السعودية للنشر والتوزيع

الغريب (قصص قصيرة) ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م منشورات دار مجلة الثقافة / دمشق

الانحـدار (قصـص قصـيرة) ١٤١٣هـ ١٩٩٣م مطبوعـات نـادي الطائـف الأدبي

الرجـل الـذي مـات وهـو ينتظـر (قصـص قصـيرة) ١٤١٥هـ ١٩٩٤م صـدر عـن المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنـشر بـيروت

الطيـب (قصـص قصـيرة) ١٤١٨هـ ١٩٩٧م صـدر ضمـن سلسـلة نوافـذ وكالـة الصحافـة العربيـة / الجيـزة ـ مـصر

الحملـة (قصـص قصـيرة) ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م منشـورات نـادي جـازان الأدبي

الغيـاب (قصـص قصـيرة) ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م صـدر ضمـن سلسـلة أصـوات معـاصرة (العـدد ١٤٥) ديـرب نجـم ـ شرقيـة / مـصر

المحطة الأخيرة (حكايات وقصص قصيرة) / دار الفارابي ببيروت ٢٠٠٨م

البحـث عـن ابتسـامة: طبعـة جديـدة أصدرهـا نـادي القصيـم الأدبي عـام ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م (تضـم أربـع مجموعـات / البحـث عـن ابتسـامة / حكايـة حـب سـاذجة / مسـاء يـوم في آذار / انتظـار الرحلـة الملغـاة) الجـزء الأول مـن المجموعـة الكاملـة.

الانحـدار: طبعـة جديـدة صـدرت عـن دار الفـارابي. بـيروت عـام ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م (تضـم أربـع مجموعـات / الانحـدار / الرجـل الـذي مـات وهـو ينتظـر / الطيـب / الحملـة) الجـزء الثالـث مـن المجموعـة الكاملـة.

الزهـور الصفـراء: طبعـة جديـدة صـدرت عـن دار الفـارابي ببـيروت. عـام ١٤٣١ / ٢٠١٠ م تضـم ثـلاث مجموعـات / الزهـور الصفـراء /

قالت أنها قادمة / الغريب) الجزء الثاني من المجموعة الكاملة.

فرشاة اله الرعد (حكايات وقصص قصيرة) كتاب الكتروني – موقع الناشر (أي- كتب) أو غوغل بكس ٢٠١١

النسخة الأولى (قصص قصيرة جدا) صدرت عن نادي الطائف الأدبي ١٤٣٢ / ٢٠١١

فرشاة آلة الرعد (حكايات وقصص قصيرة) الناشر: دار النابغة للنشر والتوزيع الإسكندرية. مصر ط ١/ ١٤٣٥ – ٢٠١٤

الفناء شعور لا يعرف (حكايات وقصص قصيرة) الناشر: دار النابغة للنشر والتوزيع الاسكندرية. مصر ط ١ / ١٤٣٥ – ٢٠١٤م

الفناء شعور لا يعرف (حكايات وقصص قصيرة) كتاب الكتروني – مطبوعات. أي – كتب . لندن / ٢٠١٤م

مرآة الصحراء (قصص) مجموعة مشتركة مع القاص فؤاد نصر الدين – عن قروب القصة القصيرة جداً / الإسكندرية ٢٠١٥ – ١٤٣٦

حدث في حي الشرقية / حكايات وقصص قصيرة وقصيرة جدا – مؤسسة تحيا مصر وجروب القصة القصيرة جدا في المختبر – الإسكندرية ٢٠١٦ – ١٤٣٧

أيها السرمدي لا تقاوم الصحراء (حكايات وقصص قصيرة). النادي الأدبي الثقافي بحائل – ١٤٣٨ – ٢٠١٦

السكينة (مجموعة قصصية) النادي الأدبي بالرياض ٢٠٢٠